بسم الله الرحمن الرحيم

(أثر القول في المدعو)

محمد بن عبدالرزاق إمام

الأستاذ المشارك في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة

بالمدينة النبوية

العام الجامعي ١٤٣٨ هـ

ملخص البحث:

يتناول البحث الحديث عن أثر القول في المدعو، ويبدأ بتعريف الأثر، والقول، و المدعو في اللغة والشرع، ثم بيان أنواع القول وأهميته الدعوية، ثم بيان أثر القول في المدعو كالأثر العقدي، والشرعي، الفطري، والصوتي، والدلالي العلمي.

الكلمات الدالة:

أثر–القول–المدعو

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسولهﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أولاً: أهمية الموضوع:

إن للقول أثراً عظيماً،وأهميةً بالغة،في جميع مجالات الدعوة والحياة،والعاملون في حقل الدعوة إلى الله،على مختلف مستوياتهم وقدراتهم العلمية والعملية،يدركون أهمية القول،وكونه من أعظم الوسائل الدعوية فاعليةً،وأخطرها تأثيراً إيجابياً أم سلبياً،ومدى حاجة المدعوين إلى من يبصرهم بآثار القول الدينية والدنيوية الشرعية،والمتفرعة من كثرة أشكالها وأساليبها،وأدواتها،وذلك من خلال العودة بهم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ،وهدي السلف الصالح}،ليستنيروا في دعوتهم بالوحي الإلهي،الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وتأتي أهمية هذه الدراسة وتتحدد أغراضها في النقاط التالية : –

١) عناية القرآن الكريم،والسنة المطهرة،بهذه الوسيلة،منهجاً،وأسلوباً،حكيماً،جعل لها أثراً بليغاً،في وسائل الدعوة.

٢) للقول الحسن منزلة رفيعة،وثمرات يانعة،باعتباره الوسيلة الفطرية الأصيلة،التي استخدمها الأنبياء والرسل،في تبليغ رسالات الله تعالى،وإيصال الحق للمدعوين.

٣) تنمية الوعي بضرورة استثمار وسيلة القول،في كافة مجالات الدعوة،وإعداد الدعاة المدربين،ذوي البصيرة بفقه مقاصد القول ومنهجيته،وأساليبه،وخصائصه،وضوابطه الشرعية،والتي لها تأثير في تحقيق أهداف الدعوة،وتنفيذها ومتابعتها واقعياً،واعتدالها من حيث الشكل والمضمون.

٤) تعدد أساليب القول له آثار جذابة،تشعر به نفوس المدعويين،وتنوع فنون القول من دواعي الإقناع العقلي،والتأثير القلبي،وعظيم الأثر في نجاح دعوة الداعي.

٥) تضافر الممارسات الخاطئة،في استخدام وسيلة القول،والإساءة في حسن استخدام فنونها،وآدابها،وتنزيلها على الواقع،يعد من المعوقات التي تقف في طريق الدعوة،ويضعف أثرها في المدعوين.

ثانياً: أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة،بيان مكانة القول الدعوية،وإيضاح آثار القول على المدعوين،من خلال عناية القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة،في استخدام أساليب وطرق وأشكال نماذج فريدة لوسيلة القول،توصل إلى تحقيق الأهداف المعرفية والسلوكية والوجدانية في دعوة المدعوين، وتبصير الدعاة أن يحسنوا الاستفادة من وسيلة البيان والقول،في نصوص القرآن والسنة،والإفادة من آثار تطبيق الرسولﷺ لوسيلة القول .

ثالثاً: مشكلة البحث:

وجود بعض العقبات والعوائق،في فقه آثار القول الدعوية لدى بعض الدعاة،بسبب تضافر الممارسات الخاطئة،في استخدام وسيلة القول،والإساءة في حسن استخدام فنونها،وآدابها،وتنزيلها على الواقع،مما أنتج مُعوقاتٍ تقف في طريق الدعوة،وأضعف أثرها في المدعوين،ومما يستدعي أيضاً ملاحظة عوامل ضعف تأثير هذه الوسيلة الدعوية الهامة في استجابة المدعوين،ومعالجة الأخطاء الواردة في ذلك،ليتحقق التأثير المعنوي والحسي في المدعوين،ويتفاعلوا مع معطيات القول ويتبعوا أحسنه.

رابعاً: تساؤلات الدراسة:

لتحقيق أهداف البحث، يسعى الباحث للإجابة عن السؤال الرئيس:

ما الآثار الدعوية لوسيلة القول على المدعو؟

ومنه تتفرع التساؤلات التالية:

١- ما مظاهر تنوع القول،وأشكاله،على المدعوين؟

٢- ما الأثر العقيدي،والفطري،والنفسي،والصوتي،والدلالي العلمي للقول،على المدعو ؟

خامساً: حدود البحث: القول من الوسائل الدعوية،التي تتصف آثاره الدعوية بالشمولية الواسعة،وذلك باعتبار تعدد طرق عرضه،وتنوعها،ومن حيث تعدد فنون القول بحسب حاجات المدعوين،فاستدعى انتقاء أبرز الآثار الدعوية الرئيسة،التي تتناسب مع حدود ومتطبات الخطة البحثية المرسومة،للأبحاث الجامعية.

سادساً : منهج البحث :

١- المنهج الوصفي التحليلي :ويتضمن بيان معاني ودلالات النصوص القرآنية والنبوية التي لها علاقة بدعوة المدعو،ومحاولة تحليلها وتفسيرها،لاستخلاص آثارها على المدعو. ٢- المنهج الاستقرائي:ويستلزم استقراء النصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة،التي تعطي الداعية رصيداً

زاخراً،في اختيار الطريقة المثلى والأنسب في دعوته،بما يعود على المدعو بحسن الأثر في الدين والدنيا،وطيب الثمر في الدارين.

٣- المنهج الاستنباطي :ويعني: استنباط الدلالات التربوية الدعوية،المؤثرة في المدعوين،باختيار مجموعة من النصوص الشرعية،المتصلة بالدعوة إلى الله تعالى،واستنباط كلام العلماء وشروحاتهم،ثم ما فتح الله به من خواطر ومفاهيم،تربط النصوص بالواقع الدعوي من خلال الشرح،واستخلاص أبرز الآثار،لاستثمارها في هداية المدعو .

سابعاً: الدراسات السابقة: –

يقرر الباحث أنه على حد علمه واطلاعه للبحوث والكتب،لم يجد دراسة علمية تعني ببحث (أثر القول في المدعو)وفق ما هو مقرر ومدروس في ثنايا البحث،وموضوع القول دُرِسَ من عدة جوانب، كأنواعه،وأهميته،وضوابطه،وخصائصه،ولم يفرد بالدراسة المستقلة والمستفيضة، في استقراء آثاره الدعوية،في حدود علم الباحث والله أعلم،وتتطلع هذه الدراسة لاستكمال هذا الجانب المهم واستيفاء معظم ما يتعلق به،ويستحسن عرض الدراسات ذات الصلة بالقول بشكل عام والتي أفاد الباحث منها مما وجد له علاقة بدراسته الحالية :

١- – أصول الدعوة،عبد الكريم زيدان،الناشر: مؤسسة الرسالة،بيروت،الطبعة: ٩، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، تضمن الكتاب في المبحث الثاني من وسائل تبليغ الدعوة،التبليغ بالقول،واشتمل على أهمية القول في التبليغ،والضوابط العامة،وأنواع القول،ولم يتعرض المؤلف لآثار القول على المدعو .

٢- المدخل إلى علم الدعوة،محمد أبوالفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة،بيروت،الطبعة١، ١٤١٢هـ-١٩٩١م،حيث تناول وسيلة القول،ضمن وسائل الدعوة،وذلك،من حيث تعريفها وأهميتها وضوابطها،دون ذكر لآثار القول على المدعو .

٣- حسن عيسى عبد الظاهر،فصول في الدعوة الإسلامية،دار الثقافة،الدوحة،ط١ ،١٤٠٦،تناول المؤلف في الفصل السابع،الدعوة والبيان،وعرف البيان القولي،وبين قيمته،وضرورته، والقصد في البيان،وأثره الفاسد باختصار شديد،ثم تناول أقسام الكلام،والدراسة لا تخلو من فوائد يستأنس بها في ذكر آثار القول على المدعو،بالتفصيل المدروس في هذا البحث.

٤- ركائز الدعوة إلى الله تعالى،فضل إلهي،مطبعة سفير،الرياض،ط١ ،١٤٢٥،اشتمل المبحث الرابع على ذكر الدعوة بالقول،وبين أنها تتفرع إلى أقسام،الدعوة بالترغيب والترهيب،وبسوق القصص،وبضرب الأمثال،ثم تناول الدعوة القولية المقرونة بالفعل،وبالإشارة .

٥ – دراسات في طرق الدعوة الإسلامية،أحمد العدناني،مطابع الصفا،مكة،١٤١٠، استعرض في الباب الأول مظاهر الطرق القولية،وهي :اللين،والحديث العام،والخطابة،والمحاضرة،والموعظة، والندوة،والجرأة في قول الحق ٠

٦– الدعوة إلى الله تعالى،توفيق الواعي،دار اليقين ،المنصورة،١٤١٦،ط ٢،عرض في الباب الرابع،لوسيلة القول ضمن وسائل التبليغ،السمعية والبصرية والمقروءة،وذكر المؤثرات الحسية،والعقلية،والنفسية،ودرجات التأثير،باختصار شديد ٠

٧– جهاد الكلمة،محمد أبوالفتح البيانوني،دار القلم،دمشق،١٤١٨،ط١،وهذه الرسالة على صغر حجمها،فقد تضمنت تعريف كلمة الحق،وحكم قولها،ومنهجها،وأساليبها،وضوابطها،وخلت الرسالة من ذكر آثار القول وكلمة الحق٠ويلاحظ في هذه الدراسات السابقة،إما خلوها من آثار القول على المدعو،أو ذكرها بشكل عام ومختصر جداً،وقد تناولته دراسة الباحث بالتفصيل،حيث تضيف هذه الدراسة بعداً جديداً وهاماً،تدعو مسيس الحاجة إلى إبراز أنواع القول وأهميته الدعوية،ومكانته في الدعوة، لتتضح من خلاله أبعاد التكامل الأثري في المدعو٠

خطة البحث الموسوم بعنوان:(أثر القول في المدعو)

اشتمل البحث على مقدمة ومبحثين،أما المقدمة فقد تضمنت: أهمية الموضوع، أسباب اختيار الموضوع،أهداف البحث،تساؤلات الدراسة، حدود البحث، منهج البحث، الدراسات السابقة٠

وموضوعات البحث تتضمن مايلي:

المبحث الأول :التعريف بمصطلحات البحث

المطلب الأول– – تعريف الأثر في اللغة والشرع٠

المطلب الثاني– تعريف القول في اللغة والشرع ٠

المطلب الثالث– تعريف المدعو في اللغة والشرع ٠

المطلب الرابع– : أنواع القول وأهميته الدعوية ٠

المبحث الثالث:– أثر القول في المدعو

المطلب الأول– الأثر العقيدي،والشرعي ٠

المطلب الثاني – الأثر الفطري ٠

المطلب الثالث – الأثر الصوتي ٠

المطلب الرابع– الأثر الدلالي العلمي ٠

المبحث الأول :التعريف بمصطلحات البحث

المطلب الأول– – تعريف الأثر في اللغة والشرع.

أ– الأثر في اللغة :

قال ابن فارس(٣٩٥هـ)~:"الهمزة والثاء والراء، له ثلاثة أصول:تقديم الشيء،وذكر الشيء،ورسم الشيء الباقي، والأَثَارة: البقية من الشيء،والجمع أثارات،ومنه قوله تعالى:{ ﴿ ﴾ }[١]،وأمّا حديث عمر رضي الله عنه:"ما حَلَفتُ بعدها آثِراً ولا ذاكراً"[٢]،فإنه يعني بقوله آثِراً مُخْبِراً عن غيري أنه حَلَف به"،[٣]وقال الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) ~:"الأثر بقية ما ترى من كل شيء وما لا يُرَى بعد ما يبقى عُلقةَ وأثر الحديث: أنْ يأثِره قومٌ عن قومٍ أي : يحُدَّث به في آثارهم أي : بَعدهم والمصدر:الأثارةُ والمأثرة : المكْرمة،وقد أثرتُ أن أفعل كذا وكذا وهو هم في عزم" [٤]

ب– الأثر في الشرع:قال الجرجاني(ت٨١٦هـ)~:"الأثر :بمعنى النتيجة وهو الحاصل من شيء "[٥]،ومقصودنا بالأثر في هذا البحث:اختيار خلاصة ما بقي من رسم القول،وأحسنها أفعالاً وأخلاقاً حسنةً،وتقديمها أولاً في الخبر،واختصاصها بالذكر لتكون أعلاماً دعوية تُرْوَى،ومَكْرُمَةً يُتَحدَّث عنها،وسنةً باقيةً.

المطلب الثاني: تعريف القول في اللغة والشرع:

أ– تعريف القول في اللغة :

القول لغة : قال ابن فارس(٣٩٥هـ)~[٦]"القاف والواو واللام أصلٌ واحدٌ صحيحٌ يقلُّ كلمهُ،وهو القَول من النُّطق،الحكاية والكلام على الترتيب المفهم،لفظاً ومعنى،ويطلق على "كل لفظ قال به

---

[١])سورة الأحقاف ٤ .

[٢]) صحيح مسلم ،كتاب الأيمان،باب النَّهْيِ عَنِ الْحَلِفِ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى (٥ / ٨٠)٤٣٤٣، مسند الإمام أحمد (١/ ٢٦٧)١١٢ .

[٣]) معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس (١ / ٥٣)

[٤])كتاب العين ، للفراهيدي (٨ / ٢٣٦)

[٥]) التعريفات ،للجرجاني (١ / ٢٣)

[٦]) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥ / ٤٢)

اللسان تاماً أو ناقصاً،مفرداً أو جملة"[٧]،والأقوال الملفوظة هي:الحروف التي تتألف منها هيآت الكلمات الملفوظة المسموعة،ومفردات الألفاظ المنطوقة،مَقْرُوءٌ بِأَلْسِنَتِنَا بِحُرُوفِهِ الْمَلْفُوظَةِ الْمَسْمُوعَةِ،

ب- تعريف القول في الشرع هو:"اللفظ المركب من الحروف المبرز بالنطق مفرداً كان أو جملة الدال على معنى مفهوم"[٨]. قال الجرجاني(ت٨١٦هـ)~:"القول هو اللفظ المركب في القضيةالملفوظة أو المفهوم المركب العقلي في القضية المعقولة"[٩]،ويقصد بالقول في اصطلاح الدعوة:بيان الداعية لما اشتمل عليه دين الإسلام من العقائد والشرائع والأخلاق بالقول المبين والمنطق الفصيح والكلام الواضح .

المطلب الثالث- تعريف المدعو في اللغة والشرع :

أ- تعريف المدعو في اللغة:من الدعاء: هو في الأصل من النداء، يقال لغة: دَعا فلاناً إذا صاح به وناداه، فهو طلبُ إقبال المدعوِّ إلى الداعي وتنبيهه ليسمع قوله .

ب- تعريف المدعو في الشرع:عرف بعض العلماء المدعوأنه:"كل مخاطب بالدعوة من الخلق"[١٠]، ويمكن أن نعرفه بما يلي:كل فرد أو جماعة من العالمين، تُدْعَى إلى دين الإسلام،وتُبَلَّغ تكاليفه اعتقاداً وقولاً وعملاً،في كل زمان ومكان.

المطلب المطلب الرابع- : أنواع القول وأهميته الدعوية :

القول نوع من أنواع الوسائل المادية،والتي تعد أحد أركان الدعوة الرئيسة،في تبليغ الدعوة،وإيصالها للناس،وقد أمر الله تعالى رسله عليهم الصلاة والسلام،وأتباعهم باستخدامها،والداعية الناصح هو الذي يفيد من هذه الوسائل،ويسبر أغوارها،ويحسن انتقاء الأفضل والأكمل منها في هداية الخلق،وتبليغ أحكام العقيدة والشريعة،ونَفْع المدعوين في دينهم ودنياهم، على ضوء ضوابط الشرع وأصوله،والوسائل المادية،تنقسم إلى وسائل قولية ملفوظة،ووسائل قولية مكتوبة،وإن من رحمة الله تعالى وحكمته،أن جعل للمقاصد والأهداف والغايات طرقاً لتحقيقها،ألا وهي الوسائل،واشتمل القرآن الكريم والسنة المطهرة،على كثير من الوسائل الدعوة المادية،التي اتصفت بالدقة والوضوح

---

[٧]) المحكم والمحيط الأعظم ، لابن سيده (٦ / ٥٦١)

[٨] انظر: المفردات، للأصفهاني ص٦٨٨، قطر الندى، لابن هشام ص١١ .

[٩]) التعريفات ، للجرجاني (١ / ٢٣٠)

[١٠]) الأسس العلمية لمنهج الدعوة،عبدالرحيم المغذوي،٢ /٥٥٦ .

والحيوية،في تبليغ دين الإسلام،وتحقيق مقاصد الدعوة،وقوة التأثير في المدعوين،والفاعلية في التنوع،بحسب الفروق الفردية للناس وتفاوت قدراتهم،ومهاراتهم الذاتية،والمقصود بالوسائل المادية:الأدوات والآليات الحسية والملموسة التي يستعان بها على تبليغ الدعوة وفق ضوابط الشرع ومقاصده،والوسائل المادية التي تعين الداعية،قد تأخذ شكل الآلات والأوعية الحسية الجامدة كالمنبر،والقلم والكتابة ووسائل الاتصال،وقد تأخذ شكل الصيغ الأسلوبية كالقول،أوالعملية (الحركية) كالرحلات،والمعارض،والدعوة بحاجة إلى القول البليغ الفصيح،فهما يجمعان كمال أوجه البيان،إذ إن"الفصاحة تمام آلة البيان فهى مقصورة على اللفظ،لأن الآلة تتعلّق باللفظ دون المعنى، والبلاغة إنما هي إنهاء المعنى إلى القلب"[11]،وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ باستعمال هذه الوسيلة في دعوته،فقال تعالى:{☐◆➔♎ ✍︎ ⌗ ♒●←☠︎⬀ ×☒♉☑ 🕮☐☼▦→○⬀≈☒☠︎⬀ ♎•☐⬀•☺ ✍︎♦▤☒⑩⇔☪✍︎}[12]،أي"أنه يبلغ إلى كنه ما فى قلوبهم،فيصل إلى أعماقها،ويوجههم توجيها حسناً إلى ما فيه صلاح فى الدنيا والآخرة،هذا القول البليغ الذى يصل إلى كنه القلوب،يجب أن تتحقق فيه ثلاثة أوصاف:أولها:أن يكون المطلوب حقاً،والثاني:أن يكون اللفظ مستقيماً،والمعنى سليماً،فلا يصل إلى الحق إلا بالحق،والثالث:أن يكون القول منبعثاً من النفس،بحيث يُؤْمَنُ القائلُ بصواب ما يقول،فإنه لا يؤثر إلا المتأثر"،[13]والاتجاه إلى جذب المستمعين،بوسيلة القول البليغ،الذي ينفذ إلى القلوب،ويحرك النفوس،ويمهد للاستجابة،من المطالب الضرورية،للداعية الحصيف،في نشر دعوته،سواءً بالبيان القولي اللازم،والذي يأتي بمعنى الظهور،والفصاحة،فيتخير أعظم بيان قولي للدعوة،ألا وهو القرآن الكريم،والسنة المطهرة،حيث كان لإعجاز بيان القرآن والسنة،تأثيراً كبيراً في نفوس المخاطبين،ونفاذاً إلى قلوبهم،وتحريضاً لاستجابتهم،أوبالبيان القولي المتعدّي،فيجتهد في الإظهار،والإفصاح لأحسن القول،وأكثره تأثيراً وجمالاً،وملائمةً لأحوال المدعوين،مهتدياً بهدي الله تعالى،وقوله عز وجل:{⚐➔☠︎▪ ♐☒♌☐ ⬁♦▦■⑩⬂☪◆✍︎ ✍︎◆⑩✍︎♦☼✍︎♦○←⓵}[14]،أي:بيان ألفاظه ومعانيه لك،وإظهار أحكامه وتفصيل شرائعه،وتَمْيِيزَ حَلَالِهِ مِنْ حَرَامِهِ[15]،والقول البليغ الفصيح،بألفاظه الحسنة،وعبارته النيّرةيعتبر"من أكبر

---

[11]) الصناعتين : الكتابة و الشعر - أبو هلال العسكري(١ / ٣)

[12]) سورة النساء: ٦٠-٦٣ .

[13]) زهرة التفاسير - محمد أبو زهرة (١ / ١٧٣٩)

[14]) سورة الْقِيَامَةِ: ١٩ .

[15]) انظر: نظم الدرر ،للبقاعي(٨ / ٢٥٠) أحكام القرآن ،لابن العربي (٧ / ٤٩٢)

ما تستمال به القلوب،وتنثني إليه الاعناق وتزين به المعاني"[١٦]،وقدوة الداعية،الرسول ﷺ،في قوله البليغ،وبيانه المعجز،حيث كان ﷺ"من ذلك بالمحل الأفضل والموضع الذى لا يجهل،سلاسة طبع،وبراعة منزع،وإيجاز مقطع،ونصاعة لفظ،وجزالة قول،وصحة معان،وقلة تَكَلُّف،أُوتِى جوامع الكلم،وخُص ببدائع الحكم،وعَلِمَ أَلْسنة العرب،فكان يخاطب كل أمة منها بلسانها،ويحاورها بلغتها،ويباريها في منزع بلاغتها"[١٧]،وهكذا يوظف الداعية نعمة البيان التي امتن الله بها على الإنسان،وأهميتها في إبلاغ رسالة الإسلام،ونقل معانيه،بشتى أساليب البيان،وأقواها تأثيراً في أصناف المدعوين،مصداقاً لقول الحق تعالى:{ ✂๛❷▪❑□♍⏲♊← ↘◆■❀☠⌘ ✂๛❷→◑◺๛๛✂ ◆↗↗❷◆ℓ๛ ✂ ❀ ■✡๛ ✂"❁●●○❁♊⏲⌘ ↖◆■❀☺⌧○❁♊⌘← ✂๛◆❶◆⌛◺๛๛✂◆ℓ♦ }[١٨]،فيذكر الداعي"من المعاني،ما هو أكمل مناسبة للمطلوب،ويذكر من الألفاظ ما هو أكمل في بيان تلك المعاني،فالبلاغة بلوغ غاية المطلوب،أو غاية الممكن من المعاني،بأتم ما يكون من البيان،فيجمع صاحبها بين تكميل المعاني المقصودة،وبين تبيينها بأحسن وجه،ومن الناس من تكون همته إلى المعاني،ولا يوفيها حقها من الألفاظ المبينة،ومن الناس من يكون مبيناً لما في نفسه من المعاني،لكن لا تكون تلك المعاني محصلة للمقصود المطلوب،في ذلك المقام "[١٩]،والتوازن الحكيم في استعمال وسيلة القول،بشقيها اللفظي والمعنوي،يحقق مقصود الدعوة،وكمال نجاحها،ومن هذا المنطلق نستبين أهمية القول بالنسبة للداعية،من حيث كونه مَلَكَةً،يَقْتَدِرُ بها على تصريف القول،وتأليف كلام بليغ،ملائم للمقام،ولإظهار مقاصد الشريعة،بأبلغ المعاني والألفاظ،يجعل المستمعين،يُفْضُونَ إلى حقيقته بيسر،وفهمه بسهولة،وتطبيقه بحذافيره وتنفيذه بنصه ومعناه،وبهذا يُدْرَك خطر القول وتأثيره في ميادين الحياة،ودوره العظيم في عرض موضوعات الدعوة،وبخاصة حينما ينتظم" ثلاثة أمور أحدها:عظم معناه وتأثير النفوس به،الثاني:فخامة ألفاظه وجزالتها،الثالث:كيفية القائل في إلقائه إلى المخاطب،فإن القول كالسهم،والقلب كالقوس الذي يدفعه،وكالسيف،والقلب كالساعد:الذي يضرب به"[٢٠]،فحري بالقول أن يُودَعَ مباشرةً في الأنفس،ويستقر مباشرةً في القلوب،إذ هو عملية اتصال دعوي وثيق،بالداعي والمدعو،وبمقتضى المقام،وبنوعية الكلام،والإحسان في كل تلك الروابط،يعتبر بحق

---

[١٦]) البيان والتبيين ، للجاحظ(١ / ٢٣)

[١٧]) الشفا بتعريف حقوق المصطفى – القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي (١ / ٧٠)

[١٨]) سورة الرحمن آية ١-٤.

[١٩]) منهاج السنة النبوية،للإمام ابن تيمية(٨ / ٤٣)

[٢٠]) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، سليمان بن عبد الله (١ / ٤٩٧)

وسيلة الداعي الناجحة،لإقناع المدعوين،وإلزامهم الحجة الشرعية،وإقامة المحجة الواضحة،ليستجيبوا لداعي الحق والهدى والرشد،وحيث تتعدد وسائل الدعوة القولية،وفق الأسس التي تقوم عليها اللغة العربية اللفظية والكتابية، وتتنوع بحسب الطريقة التي تؤدى بها،فهي قد تتم بالوسيلة القولية الملفوظة أوالمكتوبة،ينتظم هذا البحث على وسيلة القول،وآثارها الدعوية،وفي المباحث التالية بيان تفصيلي لذلك:

المبحث الثاني:- أثر القول في المدعو

تمهيد:

عظم منزلة القول في الدعوة :

القول في الدعوة يعد من أفضل الأقوال عند الله تعالى وأعظمها منزلة،قال تعالى:{ ❐◆♦✍⇳Ⅱ ★✐✍✂ ❼■🖫🖄◑ ✐🕭♦↘🖂⑩ Ⅱ❶☺🖄✌ ☪⬥⇗❑⬥🕭 ←Ⅱ❁○⇳○❐🕮 ⌘Ⅱ🖄✍ 🖄🖄♉❋☼🖄◑ ♦✌✍⬥🕭◆❐ ✍☯⬥🖄🖬🕓❁🕒 •✍🖄☺♦↖◆❐ ✂✍☺⬊❧✍⇔○←☺⬊🖬🖄☺✓×♦ }[21]، قال ابن جرير،(ت ٣١٠هـ):"ومن أحسن أيها الناس قولاً ممن قال ربنا الله ثم استقام على الإيمان به،والانتهاء إلى أمره ونهيه، ودعا عباد الله إلى ما قال وعمل به من ذلك"[22]،فقول الداعية المقترن بالاعتقاد الخالص والعمل الصالح،من أشرف المراتب،وأرفع الطاعات،لاستلزامه الكمال العلمي،والعملي،والنفع اللازم لنفسه،والمتعدي للمدعوين،والآية فيها إرشاد إلى مزية التبليغ بالقول بفنونه المتنوعة،حيث"إن الدين كلمة تقال وسلوك يفعل فإذا انفصلت الكلمة عن السلوك ضاعت الدعوة"[23]،وبالتالى يتبين أن "كلمة الدعوة حينئذ هي أحسن كلمة تقال في الأرض،وتصعد في مقدمة الكلم الطيب إلى السماء،ولكن مع العمل الصالح؛الذي يُصَدِّقُ الْكَلِمةَ،ومع الاستسلام لله الذي تتوارى معه الذات،فتصبح الدعوة خالصة لله ليس للداعية فيها شأن إلا التبليغ"[24]، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ

---

[21]) سورة فصلت الآية ٣٣ .

[22]) جامع البيان (٢١ / ٤٦٨)

[23]) تفسير الشعراوي- الخواطر،محمد متولي الشعراوي، (١ / ١٦٣)

[24]) فى ظلال القرآن ، سيد قطب(٥ / ٣١٢١)

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شَاعِرٌ كَلِمَةُ لَبِيدٍ أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ»[٢٥]وفيما يلي بيان أثر القول في المدعو،من عدة نواحي :

المطلب الأول– الأثر العقيدي،والشرعي :

أ– الصبغة الدينية للقول لفظاً :

يعد القول أداة المعاني،والدلالات،إذْ حُسْنُ المعنى أو قُبْحه،يؤثر على اللفظ،وفق الدلالة التي تدل على المعنى،وحينما أذن الله تعالى بالوحي،إلى رسوله ﷺ والدعوة إلى دينه،اصطبغ القول بالصبغة الشرعية الإلاهية،وتضمن كمال الصدق والحق والعدل،فكان أعظم أثراً في نفوس المدعوين وأقوى نفعاً،ووصولًا للقلوب والأسماع،والقرآن الكريم كتاب الدعوة،"وكلام الله المنزل على رسوله المعْجز بألفاظه ومعانيه المتعبد بتلاوته"،[٢٦]،حيث اشتمل أعظم النفع والأثر،وهو قوله الحق،والصدق،كما قال تعالى:{ ⇳♊♦✎◆❐ 🕮❐🕒⇳⑨🖂🗗↗ ✎♌♊⌘ ✂✍🗪★ 🕭♌⑩⊠⌖}[٢٧]،فأعلم سبحانه وتعالى" بأن حديثه وأخباره،وأقواله في العقائد والعلوم والأعمال،في أعلى مراتب الصدق،بل أجَلّها"[٢٨]،وأوثقها بالقبول والتقديم وهو مُلْتَمَسٌ تُلْتَمَسُ فيه غاية الدعاة لتثبيت العقيدة،على أتم تمامها،وأكمل كمالها،وهو المعجزة الخالدة لنبي الإسلام ﷺ للتدليل على صحة رسالته،ولا زال القرآن الكريم منذ أن نزل وإلى يومنا هذا في طراوته وحلاوته وحسنه وجماله وإعجازه الدعوي،قد جمع"العذوبة،والجزالة،والسهولة،والرّصانة،مع السلاسة والنصاعة،واشتمل على الرّونق والطّلاوة،وسَلِمَ من حيث التأليف،وبَعُدَ عن سماجة التركيب،وورد على الفهم الثاقب قبله ولم يردّه،وعلى السّمع المصيب استوعبه ولم يمجّه"[٢٩]،وإن ارتباط القول،بالوحي المطهر،جعله يتمتع بالصبغة الدينية الصحيحة،ويتميز بقوة سحرية خارقة،تُؤثّر في النفوس،وتغرس الهيبة في القلوب،وتُعدِّل من العقائد الخاطئة وتُصْلح السلوك السيء،بمشيئة الله تعالى،وقد وقع هذا التأثير

---

[٢٥]) ديوان لبيد بن ربيعة العامري ص: ٨٥، وورد الشطر الأول من البيت في حديث عن النبي ﷺ اتفق عليه الشيخان، انظر: صحيح البخاري ص١٢٤٤، كتاب الرقائق باب (٢٧) رقم (٦٤٨٩)، صحيح مسلم ص٩٢٧، كتاب الشعر، باب (٥) رقم (٢٢٥٦)، والمقصود به نعيم الدنيا والآخرة .

[٢٦] مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان (١ / ٣٢٥)

[٢٧]) سورة النساء:١٢٢ .

[٢٨]) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (١ / ١٩١)

[٢٩]) الصناعتين الكتابة و الشعر ، أبو هلال العسكري (١ / ٢٠)

لقريش،حينما دعاهم الرسول ﷺ بالقرآن الذي هو كلام الله تعالى،وقوله الحق،فكابروا ووصفوه بالسحر،وقد سَطَّر القرآن هذا الأثر البليغ للقول،قال تعالى:{
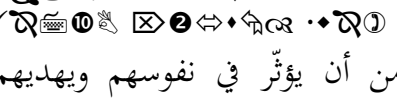

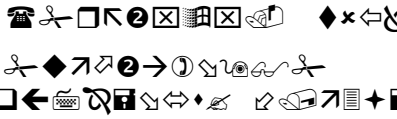
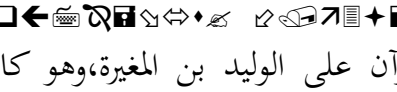
} [٣٠]،ولِعِظَمِ تَأثُّرهم به أخذوا ينأون عن سماعه،خوفاً من أن يؤثّر في نفوسهم ويهديهم إلى الإيمان،قال تعالى:{
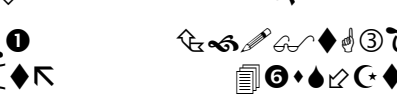

} [٣١]،ومن الشواهد التي تؤكد ذلك،أنه حينما تُلِيَ القرآن على الوليد بن المغيرة،وهو كافر لم يُؤْمِن،ولكن نقل إلى قريش تأثره ذلك،في صورة مدح للقرآن،واعتراف بعلوه في نظمه ونثره وبلاغة تأثيره،عن عكرمة عن ابن عباس > قال جاء الوليد بن المغيرة إلى رسول الله ﷺ فقال له اقرأ علي فقرأ عليه:{ 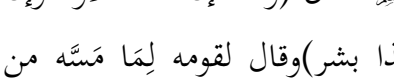
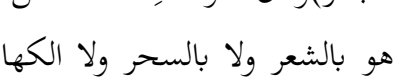
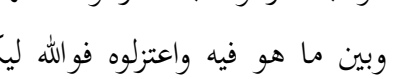
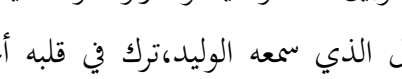
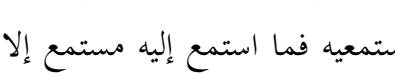
} [٣٢]،قال أعد،فأعاد النبي ﷺ فقال:(والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة،وإن أعلاه لمثمر،وإن أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر)وقال لقومه لِمَا مَسَّه من تأثير غَلَّاب:"والله قد سمعت قولاً ما سمعت لمثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ "[٣٣]،وفي هذا دلالة على أن القول الذي سمعه الوليد،ترك في قلبه أعمق الأثر،ولاريب فللقرآن تأثير عجيب على نفوس قارئيه ومستمعيه فما استمع إليه مستمع إلا أخذ بطريقته،وأوجد في قلبه هشاشة إليه،وأمر الله سبحانه وتعالى رسولَه والمؤمنين،إسماع المشركين قوله المسطور في رق منشور، ليكون ذلك عوناً على دعوتهم لتدبر أصول الإيمان،وفهم أحكامه،فيؤمنوا عن علم واقتناع،وتأثر بما يدعو إليه كلام الله تعالى،من عقيدة التوحيد الخالصة،وشريعة الإسلام

---

[٣٠]) سورة الأنعام : ٧ ٠

[٣١]) فصلت: ٢٦ -٢٧ ٠

[٣٢]) سورة النَّحْلِ: ٩٠-٩١ ٠

[٣٣]) المستدرك على الصحيحين للحاكم،وقال:هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري و لم يخرجاه ووافقه الذهبي، ٣٨٧٢ (٢ / ٥٥٠)، سيرة ابن إسحاق ١٥١ - (٤ / ١٨٨)، شعب الإيمان،للبيهقي(١ / ٢٨٧)

١٣٣ قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار - (١ / ٢٢٣)ورواه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند جيد ٠

الناصعة،قال تعالى:{ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ } [٣٤]،والقول المسموع المؤثر؛يعد من أهم وسائل العلم والمعرفة بحقيقة الدعوة،وتدبر نظمه ولفظه ومعناه،جاذب للقلوب،وداع للاستجابة،ويحصل الاهتداء به للقارىء والسامع،وذلك لما يشتمل عليه من خصائص تأثيرية فريدة،ومن ذلك كمال" علم القرآن عن طبيعة النفس البشرية،ومعرفته بشئونها المختلفة،ونواميسها التي تخضع له؛لتأييد دعوته وحجته"[٣٥]، حيث دعا الله عباده المؤمنين،بإذاعته،ونشره؛ليسمعه المدعوين،ويتدبروا آياته،فعلى الداعية أن يستغل ظروف المدعو المستجير،ويتفطن لأهدافه،وحاجاته،أو جهله،وعدم علمه بما يتضمنه كلام الله تعالى،فيسمعه من قول الله جل وعز؛ليكون سبباً في هدايته وإرشاده للحق،وانقطاع العذر عنه،ومن مقتضيات استجابة المدعو أنه"إذا أَلْقَى إليه السَّمع،وهو شهِيد لا يلبث أن يظهر له الحق في هَذه الأُصول،فإِن لَم تَصُدَّه العصبيَّة،والتزام العداوة للداعي،لا يلبث أن يؤمن"[٣٦]،لقد كان القرآن الكريم ولا يزال،أعظم وأنفع الوسائل الدعوية على الإطلاق؛لما يحمله من قوّة القول اللفظي،ومعاني الكلمة الخالدة المؤثرة التي قلبت الموازين وغيّرت المفاهيم،فأزالت أعراف الجاهلية،وهدمت صروح الشرك والكفر،وأيقظت العقول السادرة،ونبّهت القلوب الغافلة،وأحيت الضمائر الميتة،وأقامت الانسان على الصراط المستقيم،والحق المبين،وعندما انطلق به رسول الله ﷺ يقرؤه على الناس داعياً إياهم إلى هديه الرشيد،لم يكن من بلغائهم وعظمائهم،إلا أن تطامنوا أمام قوة تأثيره، وخضعوا لسلطان عظمته،كما في قصة جبيرؓ:«لما قدم على النبي ﷺ،في فداء أسارى بدر، وكان إذ ذاك مشركاً،فسمعه يقرأ بالطور،قال: فلما بلغ قوله تعالى:{ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ } [٣٧]قال: كاد قلبي أن يطير، وَذَلِكَ أَوَّلَ مَا وَقَرَ الإِيمَانُ فِي قَلْبِي»،[٣٨]قال الخطابي(٣٨٨هـ) }:"كان انزعاجه عند سماع الآية لحسن تلقيه معناها ومعرفته بما تضمنته من بليغ الحجة"،فكلام الله تعالى،وقوله الحق،وسماعه القرآن،كان وسيلة مؤثرة في

---

[٣٤]) سورة التوبة : ٦ ٠

[٣٥]) "البلاغة وعلم النفس"،أمين الخولي،مجلة كلية الآداب،المجلد الرابع،ج ٢ ديسمبر ١٩٣٦ ٠

[٣٦])تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا(١٠ / ١٦٠)

[٣٧]) سورة الطور: ٣٧

[٣٨]) صحيح البخاري،كتاب المغازي،باب شُهُودِ الْمَلاَئِكَةِ بَدْرًا، (٤ / ١٤٧٥)٣٧٩٨ (٥ / ١١٠) السنن الكبرى،للبيهقي، كتاب الصلاة،باب الْجَهْرِ بِالْقِرَاءَةِ (٢ / ١٩٤)

إسلامه،وحصوله في قلبه وثباته واستقراره،وكاد قلبه أن يطير،وينصدع من حسنه،لأن القول ورد بصيغة استفهام الانكار،للدلالة على وحدانية الخالق،وصدق ربوبيته وألوهيته،وهذا يُنْبِئ بقيمة القول ومنزلته العليا،حينما ارتبط بالمعاني الإيمانية والدلالات الوعظية،ويظهر بجلاء تأثير الكلمات في تفكير المدعوين،وملامسته لفطرهم،وموافقته لعقولهم،وكفاية هذه الكلمات،كوسيلة دعوية جذابة وهامة من بين وسائل الاتصال الإنساني،وتأسيساً على ذلك تعتبر اللغة المنطوقة،وسيلة دعوية واضحة،يمكن الاعتماد عليها،في اتصال الناس بعضهم ببعض،مما يؤكد أن المدعوين من السامعين قد وَعَوا قَصْد المتكلمين من الدعاة،وفهموا المعاني الصحيحة،التي دَعَوْهُم إليها،واحتوت عقولهم دلالات القول الحق،الذي رغب الدعاة في توصيله إليهم،وإقامة الحجة به عليهم،"ولم يبق للمدعوين،إلا سلوك أحد الطريقين،كما قال تعالى:{ ❻ ❒◆🔔➔✎🖉 ✂ ⬧🖂🖃❻ ❒◆🖐⬧↖❶▫🖬⬧▫ ◆↗🖉 ☎ ⇔⚐↗🗏🚫■🖃▪❻ 𝙸 ✂ ⮜🖉 ❶ 𝙸 ✂ ⮜🖉 ▫🖬⬧◆❶▫🖬⬧▫ ◆↗🖉 ❷➔🖽⬨🗏◆❶▫🖬⬧▫ 🗐 }[٣٩]،ونجد في قصة إسلام عمرﷺ،دلالة على قوة الأثر في تغيير اعتقاده،من الشرك إلى الإسلام،لِمَا سمعه من تلاوة آيات من القرآن،في بيت أخته فاطمة <،من سورة طه بقراءة خباب> ما رقق قلبه،ودفع به إلى الإيمان إعجاباً بما سمع،وفي ذلك يقول ﷺ:«فَلَمَّا سَمِعْتُ الْقُرْآنَ رَقَّ لَهُ قَلْبِي،فَبَكَيْتُ وَدَخَلَنِي الإِسْلاَمُ»[٤٠]،وفي ألفاظ القرآن ومعانيه الغضة الطرية،استمالة وحلاوة،لمن خالطت قلوبهم بشاشة الإيمان،فأشرقت وانشرح صدرها،لتلقي ما فيه من روح العقيدة الصافية،وطمأنينة الإيمان،وقوة الإسلام.

ب- المعاني الشرعية ودورها في تأصيل القول لفظاً ومعنى:

الألفاظ والمعاني التي جاء بها الإسلام،تضمنت كمال الحق،والصدق،وتمام الصواب والهدى والرشد،لذا كان لها تأثيرها الكبير في انجذاب المدعوين،وقناعتهم،بأحقية دين الإسلام،وكان لها تأثيرها في التربية والبناء،وصياغة الشخصية،وتكوين المجتمع المسلم،وتشييد معاقد الحضارة الإسلامية الراقية،ومن ذلك كلمة التوحيد والعبادة،والنبوة،والوحي والآخرة،والصلاة،والصيام،والزكاة،والحج،والأمانة والصدق،والإخلاص،وما يضادها من الشرك،والكفر والنفاق،والكذب،وقد لَفَتَتْ هذه الألفاظ الشرعية انتباه المدعوين،وانطبع في قلوبهم عمق تأثيرها،عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ:اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ يَوْمًا،فَقَالُوا : انْظُرُوا أَعْلَمَكُمْ بِالسِّحْرِ وَالْكِهَانَةِ وَالشِّعْرِ فَلْيَأْتِ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي قَدْ فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا وَشَتَّتَ أَمْرَنَا وَعَابَ دِينَنَا فَلْيُكَلِّمْهُ

---

[٣٩]) سورة الكهف : ٢٩ .

[٤٠]) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل . مشكول - (١ / ٢٨٣) ،مصنف ابن أبي شيبة (١٤ / ٣١٩)، حلية الأولياء ٤٣٠ (١ / ٤٠) وأخرجه ابن إسحاق كما في السيرة النبوية لابن هشام (٢ / ١٩١)

وَلْيَنْظُرْ مَاذَا يَرُدُّ عَلَيْهِ ، فَقَالُوا:مَا نَعْلَمُ أَحَدًا غَيْرَ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، فَقَالُوا:أَنْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ فَأَتَاهُ عُتْبَةَ،فَقَالَ:يَا مُحَمَّدُ،أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ اللهِ؟فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ:أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ ؟ فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ،فَقَالَ:فَإِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ هَؤُلاَءِ خَيرٌ مِنْكَ فَقَدْ عَبَدُوا الآلِهَةَ الَّتِي عِبْتَ وَإِنْ كُنْتَ تَزْعَمُ أَنَّكَ خَيْرٌ مِنْهُمْ فَتَكَلَّمَ حَتَّى نَسْمَعَ قَوْلَكَ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:فَرَغْتَ؟ قَالَ:نَعَمْ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} حَتَّى بَلَغَ {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ}فَقَالَ عُتْبَةُ:حَسْبُكَ حَسْبُكَ مَا عِنْدَكَ غَيْرُ هَذَا ؟ قَالَ:لاَ »[41]،فاختار الرسول ﷺ ما يناسب المقام من قول الله تعالى،في أوائل سورة فصلت،حيث تضمنت إثبات أصول العقيدة:الوحدانية،والرّسالة والوحي،والبعث والجزاء،وقررت حقيقة الرسول ﷺ،وأنه بشر خصّه الله تعالى بالوحي،والدعوة،وبيَّنت جزاء الكافرين المعرضين،وجزاء المؤمنين؛المستجيبين،ثم أنكرت على المشركين الكفر،وأقامت الأدلة على وحدانية الله،وأنذرتهم بإنزال عقاب مماثل لعقوبة الأمم الغابرة، كعاد وثمود،وحينما سمع الوليد قول الله تعالى الذي عَرَضَ من خلاله الرسول ﷺ،حقائق العقيدة،أثرت فيه هذه الألفاظ والمعاني الشرعية البديعة،حتى قال عتبة لكفار قريش «فأمسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف،وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب،فخشيت أن ينزل بكم العذاب»[42]،

إن التنويع في كلام الله تعالى،المخاطب به المدعو،يسير وفق نهج الحكمة النبوية في الدعوة بالقول المؤثر البليغ،الذي يتوافق مع أصناف المدعوين،ويتجلى في مظاهر أسلوبية فريدة،ذات تأثير نفسي كبير،تراعي ظروف وأحوال المدعو،كما ورد عَنْ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قَالَ:«لَمَّا أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ،أَنْ يَعْرِضَ نَفْسَهُ عَلَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ،خَرَجَ إِلَى مِنًى وَأَنَا مَعَهُ وَأَبُو بَكْرٍ،وَكَانَ أَقْرَبَ الْقَوْمِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ مَفْرُوقٌ،وَكَانَ مَفْرُوقٌ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِمْ بَيَانًا وَلِسَانًا،فَالْتَفَتَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ،فَقَالَ لَهُ:إِلَامَ تَدْعُو يَا أَخَا قُرَيْشٍ؟فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ،فَجَلَسَ وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ يُظِلُّهُ بِثَوْبِهِ،فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:" أَدْعُوكُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ،وَأَنْ تُؤْوُونِي وَتَنْصُرُونِي،فَإِنّ قُرَيْشًا قَدْ ظَاهَرَتْ عَلَى أَمْرِ اللهِ وَكَذّبَتْ رَسُولَهُ وَاسْتَغْنَتْ بِالْبَاطِلِ عَنْ الْحَقّ وَاَللهُ هُوَ الْغَنِيّ الْحَمِيدُ فَقَالَ مَفْرُوقٌ وَإِلَى مَ تَدْعُو أَيْضًا يَا أَخَا قُرَيْشٍ ؟ فَتَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ{ ⬀✍➔🕭⬀☠➔⌛🖃◆❻ ♦☜▪❷🖂○ 🖋♦✌ ↖✍↘✍❒📖 ☎✂⬀❑⬧๑🖋🖂➔⬧✍ 🖋❀★↘⓿☒⮝ 🕑🔍○🛇🖃 ☎✂❑↗🖃🛇❸⇳¤➔✍ ⬧◆❒📖 ☎ ⬀☠➔⌛↘⓾■🖬♦↘ ⬧◆❒ ☎ 🖋✡☪🕒❁○⇳○🛇🕑 🖋✖↘⇦♦🖋🛇🖉🕒◆❑↘๑🖋🖋🛇🖃◆❒ ☎

قُرَيْشٍ ؟ فَتَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ{ } [43]،فَقَالَ مَفْرُوقٌ وَإِلَامَ تَدْعُو أَيْضًا يَا أَخَا

وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ وَاللهِ لَقَدْ أَفِكَ قَوْمٌ كَذّبُوك،وَظَاهَرُوا عَلَيْك» [45]،فكانت أقوال الرسول ﷺ،ودقة استدلاله بآيات القرآن،لتوضيح أصول الدعوة إلى التوحيد،ومحاسن الأخلاق،ومكارم الشِّيَم،وفصاحة العرب،بأحسن الألفاظ والمعاني،مثار إعجاب الوفد وتأثرهم بها،ووسيلةً مؤثرةً من وسائل الدعوة الى الله،ولأهمية أثر الإعجاز القولي في الدعوة،"لجأ رسول الله ﷺ،لإعجاز القرآن التأثيري كوسيلة أساسية من أسس الدعوة للإسلام،وظهور أثر هذه الوسيلة الفعالة في كل من استعملت معه،إما قبولاً واعتناقاً للإسلام،أو نفوراً وإعراضاً عنه،أو إقراراً بإعجاز القرآن في حاله"[46]،قال الشيخ العثيمين ~ مقرراً ذلك "إن من إعجاز القرآن قوة تأثيره على النفوس والقلوب،فإنه ينفذ إلى القلب نفوذ السهم في الرمية،ويسيطر على العقول سيطرة الشمس على أفق الظلام،كما شهد بذلك الموالي والمعادي،حتى إن الرجل العادي،فضلاً عن المتعلم،لَيَسْمَعُ القرآنَ فيجد من نفسه جاذبية عظيمة،تجذبه إليه قسراً،يعرف أن هذا ليس من كلام البشر"[47]،ولم يقتصر إعجاز القرآن على نظمه وبلاغته بل تعداه إلى ما حواه من حكم وأخلاق،ودين،وتشريع وعلوم عقلية وأخبار عن الأمم الماضية وأخبار بالغيوب،فكان لتأثيره العظيم على النفوس وروعته التي تعتري القلوب،قد شرح الله باستماعه قلوباً غافلة،ونفوساً معرضة،فقادها إلى الإيمان،"ونضيف

---

[43]) سورة الْأَنْعَامَ ١٥١ .

[44]) سورة النّحْلَ ٩٠ .

[45]) أخرجه أبو نعيم،في معرفة الصحابة (٥ / ٢٦٤٢)،وابن حبان،في الثقات (١ / ٨٠)،والبيهقى في دلائل النبوة .(٢ / ٤٢٥) قال:ابن حجر في فتح الباري (٧ / ٢٢٠)أخرجه الحاكم وأبو نعيم والبيهقي في الدلائل بإسناد حسن.

[46]) "نشأة الإعجاز التأثيري للقرآن وتطوره"د. محمد عطا أحمد يوسف ،مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية /العدد ٣٦/ص ٢٤٧ ،مجلد ١٣ / ١٩٩٨ .

[47]) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد صالح العثيمين (٥/ ٣٠٩)

تقسيماً آخر لهذه الأساليب،وهو يدور حول المعنى والمضمون الديني،فإذا اشتمل الأسلوب على معنى من معاني الإيمان مثلاً فهو أسلوب إيماني،وإذا دار حول معنى عبادة من العبادات يبين أمرها،وحكمها،فهو أسلوب عبادي،وإذا اشتمل على أحكام تشريعية أو خلقية،أو جهادية،فهو أسلوب تشريعي،أو خلقي أو جهادي،وهكذا تظهر لنا أساليب عقائدية،وعبادية،وتشريعية في حقل الدعوة وأساليبها"[٤٨]،ويعد هذا التأثير الفكري والمعرفي للمدعوين،الذي نَاقَشَ وبَحَثَ في جميع أمورهم الدينية والدنيوية،فكان مفتاحاً لجميع أنواع العلوم والآداب،وفتح بمعانيه الدينية العظيمة،آفاقاً ومسارات متعددة،في شتى الفنون والمعارف الشرعية،فالآيات التي تصوّر حقائق دين الإسلام،بطرقٍ مختلفةٍ في الصياغة والدلالة،في الوقت ذاته أصبحت هي المعين الصافي والزاد الثري للدعاة في دعوتهم،واتباع الألفاظ الشرعية،في هذا الباب من أدب الدعوة المشروع،إما إيجابًا وإما استحبابًا،بحسب المواطن،هو منهج دعاة السلف الصالح رضي الله عنهم،حيث كانوا"يراعون المعاني الصحيحة المعلومة بالشرع والعقل ويراعون أيضا الألفاظ الشرعية فيعبرون بها ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً ومن تكلم بما فيه معنى باطل يخالف الكتاب والسنة ردوا عليه ومن تكلم بلفظ مبتدع يحتمل حقاً وباطلاً نسبوه إلى البدعة"[٤٩]،ولمعرفة الأثر الذي تركته هذه الكلمات الشرعية،في حياة المسلمين،ومدى توظيف هذه المصطلحات والمعاني والحقائق الشرعية،في حياة المدعوين العلمية والعملية،يقرر ابن فارس(٣٩٥هـ)~،هذه المسألة الدعوية الهامة،فيقول:"كَانَتْ العربُ فِي جاهليتها عَلَى إرثٍ من إرث آبائهم،فِي لُغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقَرابينهم،فلما جاء الله جلّ ثناؤه بالإسلام حالت أحوالٌ،ونُسِخَت دِيانات،وأبطلت أمورٌ،ونُقِلت من اللغة ألفاظ من مواضعَ إِلَى مواضع أخَر بزيادات زِيدَت،وشرائع شُرعت،وشرائط شُرطت،فَعفَّى الآخرُ الأوّلَ،وشُغِل القوم -بعد المغاوَرات والتّجارات وتَطَلُّب الأرباح،والكدْح للمعاش فِي رحلة الشتاء والصَّيف- بتلاوة الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بَيْنَ يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد،وبالتَّفقُّه فِي دين الله عزّ وجلّ،وحفظ سنن رسول الله ﷺ،مع اجتهادهم فِي مجاهدة أعداء الإسلام،كلّ ذَلِكَ دليل عَلَى حقّ الإيمان،وصحة نُبوة نبيّنا محمد ﷺ،فكان مما جاء فِي الإسلام ،ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق،وأنَّ العرب إنَّما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان وهو التصديق،ثُمَّ زادت الشريعة شرائطَ وأوصافاً،بِهَا سُمِيَ المؤمن بالإطلاق مؤمناً،وكذلك الإسلام والمسلم،إنّما عَرَفت منه إسلامَ الشيء،ثُمَّ

---

[٤٨]) وسائل التربية الإسلامية،لفضيلة الشيخ عباس محجوب، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - (٢٢ / ٢١)

[٤٩]) درء تعارض العقل والنقل،للإمام ابن تيمية (١ / ١٤٥)

جاء فِي الشَّرع من أوصافه مَا جاء،وكذلك كَانَتْ لا تعرف من الكُفر إِلاَّ الغِطاء والسِّتْر"[٥٠]،فكان لهذه الحقائق الشرعية من هذه الكلمات والأقوال،أثراً واضحاً في قيام العلم،واستقامة الفهم،وصحة العمل،وسلامة المنهج،وقَطَفَ ثمرتها الجنية المدعوين المهتدين،بالعلم النافع،والعمل الصالح الرشيد،وإثراء لغتهم،وتنميتها بكل نافع مفيد،وبخاصة حينما وجدوا التطبيق العملي السليم،وفق مراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ،وذلك حينما دعاهم النبي ﷺ إلى التوحيد والإخلاص والصلاة والحج،بالقول والفعل،فقالﷺ:«وصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»،[٥١]وقال ﷺ:«خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ لَعَلِّي لاَ أَرَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا »[٥٢]،فاشتملت أقوال النبي ﷺ المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة،فلو تأملها المدعوين،لخرجوا بفوائد عظيمة نافعة،في دينهم،ودنياهم،وفي مثل قولهﷺ«إنّما الأعمال بالنّيات»،[٥٣]ولهذا القول الجامع دلالات تأثيرية كبيرة على حياة المدعو،فهو في أمسّ الحاجة إلى تصحيح نيته وما انطوى عليه قلبه،واعتقده بتجريد الإخلاص،والموافقة للكتاب والسنة؛لكي ترتقي أعماله إلى مقام القبول وزيادة الأجر وحصول الثواب،ويتبين له" عظم شأن النية حيث،إن لها أثراً كبيراً في صحة الأعمال وأثراً كبيراً في ثوابها"[٥٤]،لقد أوتي الرسولﷺجوامع الكلم،واكتسبت هذه الأقوال الدلالات الشرعية الموثقة،تأثيراً عملياً مباشراً على نفوس المدعوين وتهذيب تفكيرهم وتقويم سلوكهم،وكان لها تأثير مبارك في تحصيل الملكة الفقهية للدعاة،وارتبطت ارتباطاً وثيقاً بتجديد وتنمية الحياة،وإثراء الخير في مجتمع الدعوة، وتطويره وترقيته وفق منهج القرآن والسنة.

المطلب الثاني –الأثر الفطري :

المقصود بالفطرة: "الخِلقة والهيئة في نفس الطفل التي هي معدة مهيأة لأن يميز بها مصنوعات الله تعالى ويستدل بها على ربه ويعرف شرائعه ويؤمن به"[٥٥]،والقول يُعَدُّ وسيلةً فطريةً،مغروسةً في فطرة الإنسان وجبلته،وصفةجسدية،ونفسية،ثابتة ومكتسبة،وبها ابتدأ الله تعالى الخطاب

---

[٥٠]) الصاحبي في فقه اللغة ، أحمد بن فارس الرازي (١ / ١٤)

[٥١]) صحيح البخاري ص١٣٧، كتاب الآذان، باب (١٨) رقم (٦٣١)، صحيح مسلم ص٥١٢، كتاب الحج، باب (٥١) رقم (١٢٩٧)، واللفظ للبخاري .

[٥٢]) صحيح مسلم،كتاب الحج،باب اسْتِحْبَابِ رَمْيِ جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ (٤ / ٧٩)٣١٩٧،المسند المستخرج على صحيح مسلم لأبي نعيم (٣/ ٣٧٨)٢٩٩٥ ،واللفظ له.

[٥٣]) صحيح البخاري، ٢١، كتاب بدء الوحي، باب (١)، رقم (١)، صحيح مسلم، ص٧٩٢، كتاب الإمارة باب (٤٥) رقم (١٩٠٧).

[٥٤]) شرح رياض الصالحين ،الشيخ محمد العثيمين (١ / ١٥٥)

[٥٥]) المحرر الوجيز ،لابن عطية (٥ / ٢٥١)

الدعوي،للبشر،قال تعالى{ ﴿ ﴾[٥٦]،ولهذا جاءت الكتب الإلهية بخطاب الناس بالمقولات الصحيحة الفطرية،والرسل عليهم الصلاة والسلام بعثوا بالأقوال الصادقة،التي لها أثر في تقرير معاني الفطرة القويمة،وتكميلها،قال تعالى:{ ﴿ ﴾[٥٧]،فَدَعَا الرسل عليهم الصلاة والسلام أقوامهم،بالقول المشتمل على معنى الاستفهام التقريري،ولفت الأنظار لدلائل ربوبية الله تعالى وألوهيته،ليكون أوقع في التأثير على فطر المدعوين،وهدايتهم،وقد دل على هذا النظام الفطري،قوله تعالى: {﴿ ﴾[٥٨]،وأكد النَّبِيُّ ﷺ مقتضيات الفطرة السليمة التي خلق الله الإنسان عليها،في قوله:«كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ حَتَّى يُعْرِبَ عَنْهُ لِسَانُهُ،فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ ، وَيُنَصِّرَانِهِ»،[٥٩]،قال ابن كثير(٧٧٤ هـ) ~:"إنه تعالى ساوى بين خلقه كلهم في الفطرة على الجبلة المستقيمة،لا يولد أحد إلا على ذلك،ولا تفاوت بين الناس في ذلك" [٦٠]،وإذا تبين هذا،فإن فكل مولود يولد،مزوداً بهذه الاستعدادات الفطرية المعتدلة،سواء منها الروحية،أوالعقلية،أوالجسدية،ثم تأتي المؤثرات الخارجية،من الوالدين والبيئة ونحوها،لِتُحرِّفَ الفطرة النقية عن الصراط المستقيم،بشتى الوسائل والأساليب الدعوية،المُفْسِدَة والمُغَيِّرَةِ لِطبيعتها،وأما إذا كان هذا التأثير إيجابياً على الفطرة،فإنه يكون مُثَبِّتَاً لها "إذا يسر الله تعالى لها من يَسْعَى،في إعادتها إلى الفطرة،والرسل # بعثوا لتقرير الفطرة وتكميلها لا لتغيير الفطرة وتحويلها"[٦١]،وفيما يلي

---

[٥٦]) سورة النحل: ٤٠ .

[٥٧]) سورة إبراهيم: ١٠ .

[٥٨]) سورة الروم: ٣٠ .

[٥٩]) مسند الإمام أحمد (١٢/ ٤١٣) ١٤٨٤٧ ،المعجم الكبير للطبراني – (١ / ٣٥٤)٨٢٦ ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٧ / ٤٤١)رواه أحمد وفيه أبو جعفر الرازي وهو ثقة وفيه خلاف وبقية رجاله ثقات ،وقال الألباني (صحيح) صحيح وضعيف الجامع الصغير (١٨ / ٣٣٥)

[٦٠]) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦ / ٣١٤)

[٦١]) أمراض القلب وشفاؤها ، للإمام ابن تيمية (١ / ٢٦)

نورد نماذج مشرقة،في الأثر الفطري،لوسيلة القول،المتصلة بالجوانب الروحية،والعقلية،والجسدية للمدعو :

أ-الأثر الفطري في الجوانب الروحية،يعد القول أحد الوسائل الدعوية الهامة،التي تم توظيفها في الكتاب والسنة،لما له من فوائد عظيمة في ترسيخ مستلزمات رصيد الفطرة السوي،فمن شواهده في إقناع المدعو من خلال المسَلَّمات المشتركة،والمؤثرة على فطرته الروحية،قوله تعالى"

،فأمر الله تعالى بمجادلة أهل الكتاب بالحسنى،ودعوتهم بالمحاوره القولية المتضمنة "عبادة الله وحده لا شريك له،فهذه من الحركة الفطرية الطبيعية،المستقيمة المعتدلة للقلب،وتركها ظلم عظيم،اتبع أهله أهواءهم بغير علم،ولا بد لهذه الفطرة والخِلْقَة،وهي صحة الخِلْقِة،من قوت وغذاء يمدها بنظير ما فيها،مما فطرت عليه علماً وعملاً "[٦٣]،وتعليماً وتربيةً،ودعوةً،بشتى أساليب القول الحسن،حتى تنقشع عن فطرة المشرك لَوْثَات الشرك الطارئ،وتتطهر بالتوحيد،وبذلك يتدرج المدعو في مراتب الكمال لفطرته السليمة،بشقيها،القولي والعملي،وتتمتع بالأمن والأمان،والفرح والطمأنينة،كما في قوله تعالى:{

قالوا اعترافاً بربوبيته تعالى وإقراراً بوحدانيته،فجمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم،والإستقامة في الأمور التي هي منتهى العمل"[٦٥]،وهذا القول المشمل على قول اللسان وقول القلب بالتوحيد،المطابق للاعتقاد القلبي الصحيح،له أثر في تعميق ما هو مركوز في الفطرة البشرية،من الإقرار بوحدانية الله تعالى،وقد دعا النبي ﷺ إلى الإعلام القولي بربوبية الله ووحدانيته تعالى،المطابق لنور الفطرة المستقيمة في القلب،حينما سأله سفيان بن عبد الله الثقفي ﷺ عن قول فصل يُصْلح به جماع أمره:«قلت يارسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك؛قال:قل آمنت بالله،ثمَّ

---

[٦٢]) سورة العنكبوت: ٤٦ .

[٦٣]) أمراض القلب وشفاؤها ، للإمام ابن تيمية (١ / ٣٢)

[٦٤]) سورة الأحقاف/١٣ .

[٦٥]) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ،للبيضاوى (٥ / ١٧٩)

استقم»[٦٦]،والمعنى:"أن ينطق بلسانه،بإيمانه بالله الشامل للإيمان به سبحانه وتعالى، وبما جاء عنه في كتابه وسنة رسوله ﷺ، فيدخل في ذلك الأمور الباطنة والأمور الظاهرة"[٦٧]،فأرشده النبي ﷺ بكلمة جامعة؛إلى معاني الإيمان الشرعية،ليستحضرها بالقول والعمل،والاعتقاد،مبيناً أن هذه الوسيلة القولية،إعلان لدعوة التوحيد الفطرية،وترسيخ لمضمونها؛ألا وهو الإيمان بالله تعالى،وإفراده بالربوبية والألوهية،والأسماء والصفات،في الذات النفسية للمدعو،وبالدعوة إليها على مستوى الفرد والمجتمع والأمة،ويتأكد الأثر الفطري للقول،بالاستقامة على الدين كله،إذ إنه يُثَبِّت الفطرة،ويجددها،ويجعلها أكثر خيراً،وبركةً،ونفعاً،ويزيدها هدىً وتقىً،وفلاحاً،لأنه قُوتُهَا الدائم الباقي،ومعينها الصافي،وزادها الطيب،وبه تسعد في الدنيا والآخرة،فحاجة الروح والفطرة البشرية إلى هذا القوت والغذاء،أشد من حاجة الجسد إلى الطعام والشراب،لأنه بفقده،يفقد الإنسان حياته الدنيوية،وأما فقد الإيمان الحق،قولاً واستقامةً عليه،فقدان الدنيا والآخرة،وخسارتهما معا،فسعادة روح المدعو،في مضمون هذا القول الفصل،والاستقامة على مستلزماته من فعل الطاعات،الظاهرة والباطنة،واجتناب المناهي كلها،وشقاء الروح في مخالفة الفطرة قولاً وتطبيقاً،وتنكب طريق الاستقامة،ولهذا ورد هذا القول في أعلى شعب الإيمان،كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»[٦٨]، وكانﷺ يستخدم وسيلة القول التعليمية،لما لها من آثار مادية ومعنوية،في تقرير هذا الأمر الفطري المعلوم بالعقل،والحس، عن أبي بن كعب قال: "كان رسول الله ﷺ يعلمنا إذا أصبحنا:{قُولُوا : أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ وَكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ وَدِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَمِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ}فالرسول ﷺ يُرَبِّي المدعو المسلم،أن يفتتح يومه،بهذا القول المبارك؛المتضمن تجديد الاستمساك بالفطرة الإسلامية،الخالصة من الشرك كله،ومجاهدة سبل التبديل والتحريف،والأثر الفطري لهذا القول،تحقيق الإيجابية،والسعادة،والبهجة والسرور للمدعو في يومه كله،لأنه قول صادق يتوائم مع الفطرة والعقل السليم،وهذا القول أيضا،يعضد الميثاق الفطري الذي أخذه الله تعالى من الذرية من ظهور بني آدم،قال تعالى:{ ❐◆♑♒❶⬂ 🕮❐❁⬧⓿☒
❻◆📪🖮⓾⍓ 👌♌♊📫 📪♦♉♑♑× ➚◆✂⓾⍓🏱♦ 👌♌♊

---

[٦٦]) أخرجه الترمذي في سننه ج٤/ص٦٠٧ رقم (٢٤١٠) بلفظ (ربي الله) وقال : حسن صحيح،والإمام أحمد في مسنده رقم(١٥٤٥٥)واللفظ له، والمستدرك على الصحيحين،للحاكم (٤ / ٣٤٩)٧٨٧٤،وقال :هذا حديث صحيح الإسناد.

[٦٧])كتب الشيخ عبد المحسن العباد (٢٨ / ٧٧)

[٦٨]) صحيح البخاري ص٢٥، كتاب الإيمان، باب (٣) رقم (٩)، صحيح مسلم ص٤٨، كتاب الإيمان، باب (١٢) رقم (٥٧) و(٥٨)

الفطرة السليمة،ونتيجة من نتائجها الطيبة،التي يتفيؤ ظلالها المدعو في حياته الدنيا،وللمحافظة على سلامة الفطرة من أي تبديل،نَبَّهَ ﷺ إلى دور البيئة القريبة وأثر القول،في تغيير فطرة الإنسان عندما قال:«مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ،أَوْ يُنَصِّرَانِهِ،أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ»[٧٠]،فالأطفال بمثابة جواهر الفطرة الصافية،وتؤثر فيهم أقوال الأبوين وأفعالهما،في تحريف فطرتهم،وإمالتهم عن الخير والهدى والصلاح،إلى الشر والضلال والفساد،قال الإمام ابن تيمية~:"ودعوة الرسل مشتملة للتذكير بوضع الفطرة الأصلي،وتطهيرها عن تسويلات الشياطين،فإنهم الباقون على أصل الفطرة،وما كان له عليهم من سلطان " [٧١]وقد ورد التنبيه إلى هذا التأثير الفطري السيء بالتحريف،في الحديث القدسي،أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ:«أَلاَ إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلاَلٌ وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا»[٧٢]،قال القرطبي(ت ٦٧١هـ)~:"يعني شياطين الإنس من الآباء والمهتمين بتعليمهم وتربيبهم، وشياطين الجن بوساوسهم "[٧٣]،فهذا القول من النبي ﷺ فيه تنبيه وتحذير:أن الله تعالى خلق الإنسان مفطور على نزعة التدين الحق،وأن القول الصالح الحسن،يؤثر في تثبيت الفطرة،وهدايتها إلى كل خير وصلاح،وأن القول السيئ الطالح،يؤثر في تحريف الفطرة،واجتيالها عن الاستقامة والفلاح،فدل ذلك على أن غريزة التدين،معلومة بالفطرة الضرورية،ومركوز فيها،مستقر في القلوب،وتتأثر بالأقوال سلباً أم إيجاباً .

ب- ومن شواهد الأثر الفطري للقول،ودوره في تحريك العقل للإقناع،وتثبيت الإيمان،دلالة الصنع على الصانع،ودلالة الأثر على المؤثر،قوله تعالى:{

---

[٦٩]) سورة الأعراف:١٧٢ .

[٧٠]) صحيح البخاري ص٢٦٨، كتاب الجنائز، باب (٩٣) رقم (١٣٨٥)، صحيح مسلم ص١٠٦٧، كتاب القدر، باب (٦) رقم (٢٦٥٨)

[٧١]) درء تعارض العقل والنقل ،للإمام ابن تيمية ،بتصرف يسير (٤ / ٧٣)

[٧٢]) صحيح مسلم ص١١٤٨، كتاب الجنة، باب (١٦) رقم (٢٨٦٥)، مسند الإمام أحمد ٣٨٧/١٣، رقم (١٧٤١٤)، المعجم الكبير، للطبراني، ٣٥٨/١٧، رقم (٩٨٧)،

[٧٣]) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، للقرطبي (٢٢ / ٦٦)

{[74]،قال ابن أبي العز(٧٩٢هـ))~:"وانتظام أمر العالم كله وإحكام أمره من أدل دليل على أن مدبره إله واحد وملك واحد ورب واحد لا إله للخلق غيره،ولا رب لهم سواه،فكما يستحيل أن يكون للعالم ربان خالقان متكافئان كذلك يستحيل أن يكون لهم إلهان معبودان،فالعلم بأن وجود العالم عن صانعين متماثلين،ممتنع لذاته،مستقر في الفطر،معلوم بصريح العقل بطلانه،فكذا تبطل إلهية اثنين"[75]،والقرآن يلفت أنظار المدعوين بهذا القول المؤثر المشتمل على مبدأ فطري عقلي؛إلى أحقية وحدانية الله تعالى،وانتفاء التعدد الباطل فطرةً وعقلاً وحساً،فهذا الدليل الفطري يؤكد مسلمات الفطرة السليمة،التي تنطق بأنه"لو كان في السموات والأرض إله غير الله،لفسد أمرهما واختل نظامهما،وتعطلت مصالحهما،وإذا كان البدن يستحيل أن يكون المدبر له روحان متكافئان متساويان،ولو كان كذلك لَفَسُدَ وهلك مع إمكان أن يكون تحت قهر ثالث هذا من المحال في أوائل العقول وبداهة الفطر"[76]،ووسيلة القول استخدمها الرسول ﷺ في دعوته لإيقاظ فطرة الأعرابي السوية،عن جابر بن سليم ﷺ قال:قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَامَ تَدْعُو؟ قَالَ:«أَدْعُو إِلَى اللهِ وَحْدَهُ، الَّذِي إِنْ مَسَّكَ ضُرٌّ فَدَعَوْتَهُ، كَشَفَ عَنْكَ،وَالَّذِي إِنْ ضَلَلْتَ بِأَرْضٍ قَفْرٍ دَعَوْتَهُ،رَدَّ عَلَيْكَ،وَالَّذِي إِنْ أَصَابَتْكَ سَنَةٌ فَدَعَوْتَهُ، أَنْبَتَ عَلَيْكَ»[77]،وفي الحديث لفتة عقلية للمدعو،وتوعية للأعرابي ودلالته،بالقول السهل الممتنع،الذي تتأثر به فطرته ضرورةً،وتشهد على خالقه الذي يملك وحده الضر والنفع ،وربطه به وحده دونه ﷺ،وترغيبه في اللجوء إليه وطلب العون منه والاستغاثة به في الملمات،وبذلك تزول عن فطرته غشاوة الغفلة،في حال سرائه،وتظهر بجلاء في حال الضراء،ويكون أكثر قناعة بالايمان بالله تعالى وتوحيده وعبادته وحده لاشريك له،فاختار الرسول ﷺ القول المناسب لمقام الأعرابي في دعوته له،وجعل إجابة المضْطرِّ إذا دعا،وسيلة تنبيه يتذكر بها أن له رباً يستحق أن يوحد ولا يشرك به٠

ج- الدافع الأخلاقي الفطري،مغروس في الطبيعة البشرية،والقول أحد الوسائل لتنمية هذه الحاسة الفطرية،وإيقاظ هذه الفطرة لاستحسان السلوكيات،والأفعال الحسنة،واستقباح السيء منها،ولهذا

---

[74]) سورة الأنبياء: ٢٢

[75]) شرح العقيدة الطحاوية ـ ابن أبي العز (١ / ٧٧)

[76]) مفتاح دار السعادة ، للإمام ابن القيم (١ / ٢٠٦)

[77]) سنن أبي داود (٤ / ٩٨)٤٠٨٦ ، سنن الترمذي (٥ / ٧٢)٢٧٢٢ ، وقال:حديث حسن صحيح ، مسند أحمد ط ا (٢٣/ ١١٣)١٤٨٠٥ واللفظ لأحمد ، وقال الألباني:سنده صحيح،انظر السلسلة الصحيحة (١ / ٤١٩)

دعا الله لتدبر هذه المبادئ الأخلاقية الفطرية،التي أمر بها،في قوله تَعَالَى:{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}[٧٨]،والقول له تاثير في توجية الفطرة الأخلاقية،وتعديل الاتجاهات السيئة،ثم التحكم فيها،والمعالجات النفسية لها،ومن شواهد ذلك،قصة الشاب الذي استأذن في الزنا،كما في حديث أَبِي أُمَامَةَ، أَنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ:يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي فِي الزِّنَا، فَصَاحَ بِهِ النَّاسُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:"أَقِرُّوهُ"،فَدَنَا حَتَّى جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ:"أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ؟"قَالَ:لا،قَالَ:"وَكَذَلِكَ النَّاسُ لا يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ"،قَالَ:"أَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ؟"قَالَ:لا،قَالَ:"وَكَذَلِكَ النَّاسُ لا يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ"،قَالَ:"أَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ؟"قَالَ:لا، قَالَ:"وَكَذَلِكَ النَّاسُ لا يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ"،فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ، فَقَالَ:"اللَّهُمَّ كَفِّرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ"[٧٩]،فكان الأسلوب القولي من أنجح الأساليب؛لصناعة الكره الفطري للمعصية،لدى هذا الشاب،وبناء القناعة بقبح الفواحش وبغضها،وإعادته لفطرته السوية،وطبيعته الأصلية،حيث وَظَّف الرسول ﷺ القول لدعم الأخلاق الفطرية ،لما له من دور وأثر كبير،في توجيه سلوك المدعو وتحسين تصرفاته وميوله،ويُعَد هذا من كمال رفق النبي ﷺ بالمدعو،حيث خاطبه بقول سهلٍ غاية السهولة،وأقنعه بالمحاورة المثمرة الهادئة،مما يدل على كمال العقل وفطنته،فليتأمل الداعية هذا التلطُّف،في بيان الحكم الصحيح،فمعالجة مشكلات المجتمع،تحتاج إلى فقه ولباقة،ولين وحُسْن تصرف،وبخاصة إذا رأى من يُخِلُّ بواجب أو يفعل محرماً،أن يترفق في إرشاده ويتلطف به،ويجتهد في بناء الوازع الخلقي الفطري في نفس المدعو،ليكون متبعاً لسنَّته وطريقته،فِي اللُّطْفِ وَتَحَرِّيَ الْإِقْنَاعِ،وليكون على وعي بأن"المنهج الحق هو ما جاء به الإسلام،من الاعتراف بهذه الغرائز وترقيتها،وتسخيرها لتكون سبباً من أسباب عبادة الله وعمارة الأرض،وذلك من خلال تَنظيمٍ،يؤدي الثمرات الإيجابية،وتنتفي عنه مظاهر السلبية،وكان القول وسيلةً تقويميةً لها أثرها الفعال في تهذيب وإصلاح المناهج الخاطئة في الفطرة،بكبتها أو إطلاق العنان لها"[٨٠]،ونفوس المدعوين إنما تنال كمالها،بسعادتها ونجاتها بتلبية مطالبها الفطرية،المنضبطة بمنهج الله تعالى،وأقوال الرسول ﷺ .

---

[٧٨]) سورة النَّحْلِ: ٩٠-٩١ .

[٧٩]) مسند الإمام أحمد (٣٦/ ٥٤٥)٢٢٢١١، المعجم الكبير للطبراني (٧ / ٢٠١)٧٦٦٠،قال العراقي في: المغني عن حمل الأسفار (١ / ٥٩٢)رواه أحمد بإسناد جيد ورجاله رجال الصحيح .

[٨٠]) تأملات دعويةفي السنة، عبدالله الشيخ ص ٢٢٢ .

المطلب الثالث : الأثر الصوتي:

ثبت في الشرع أن للصوت الحسن تأثير عميق في النفوس،لذا ورد الاهتمام به،واتخاذه وسيلة من وسائل التأثير الخير النافع،قال تعالى آمراً نبيهﷺ:{⌑•⍶❐⇖⇧❷⌧⩔⇔ ⇖♦❁⌂⍶⊼⇙☠⬀ ❐◆⇖⍉→⇧♑←☠⬀ ❐◆⍝→⍉ ▭⌗●←☠⬀ ×⍉♉☑ 📖❐☼⊞→○⬁⌇⍉☠⬀ ⍝•❐⬀•☺ ⍈♦⍉⑩⇔☪◌ }[٨١]،خطاب للنبي ﷺ وأتباعه أن "يقول لهم قولاً بليغاً في أنفسهم،مؤثراً في قلوبهم،حَسَنَ الألفاظ،حَسَنَ المعاني،مشتملا على الترغيب والترهيب،والإحذار والإنذار،والثواب والعقاب،فإن الكلام إذا كان هكذا عظم وقعه في القلب"[٨٢]،وبقدر ما يكون الأسلوب بليغًا يكون تأثيره كبيرًا،ومُتْعتُه الجمالية عالية،وقد رَغّبَ الشرع أن يُحَسِّنَ المسلم صوته بالقرآن،عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ﷛،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ:«زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ»[٨٣]قال القرطبي (ت٦٧١ هـ)

~:"وذلك لأنه إذا حَسّن الصوتَ به،كان أوقع في النفوس وأسمع في القلوب"[٨٤]،وأدعى إلى الاستماع والإصغاء،والتدبر المفضي إلى خشوع القلب،واتعاظ القارئ والسامع المدعو،وكمال تأثرهما بمعاني القرآن،ووصول مواعظه وحِكَمِه،إلى أعماق القلوب،وسَببٌ داعٍ لتطبيق أحكامه وقيمه،وتكون لمدلاولات القول الشرعية،وقعاً أعمق في الحس،وأبلغ في التأثير العقلي والنفسي،يتبين بذلك أن:لجَودة الأداء الصوتي للقول أثر كبير على المدعو،يدركه بقلب فَقِيهٍ وأُذنٌ واعية،لما يملكه الإيقاع الصوتي من قدرة على النفوذ في شغاف القلوب،فللقيم الصوتية أثر في تبليغ المعانى التي يريد الداعية إيصالها إلى قلب المدعو،وتقريره فيه،وتأثر مشاعره بها،ليبعثه إلى التطبيق والعمل،والداعية الحصيف هو الذي يجمع بين،البيان العقلي وما يؤديه،من الأثر الانطباعيّ،الذي يشعر به ويدركه المدعو،والبيان الصوتي للقول،والإبانة عنه كالأثر النفسيّ،وهو لا يقلّ أهمية في تحقيق التثقيف النّفْسِي للمخاطب،وفي البدء لابد أن نشير،إلى أنَّ إدراك الأثر النفسيّ للجرس والإيقاع أظهر وأقرب وآنس للنفس،"وليست المعاني النفسية،أو العواطف أو الإحساس،هي كل ما يستطيع أن يحتمله صوت الحرف،بل هو يستطيع أن يحتمل أيضاً صوراً عقلية معبرة عن الطبيعة

---

[٨١]) سورة النساء: ٦٣ .

[٨٢]) مفاتيح الغيب ، للرازي (١٠ / ١٢٤)

[٨٣]) سنن أبي داود كتاب الوتر، باب اسْتِحْبَابِ التَّرْتِيلِ فِي الْقِرَاءَةِ (٢/ ٧٤)١٤٦٨، السنن الكبرى للنسائي،كتاب المساجد،باب: تَزْيِينُ الْقُرْآنِ بِالصَّوْتِ (٢/ ٢٦)١٠٨٩، تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (٢/ ٦٩٨)حديث حسن صحيح .

[٨٤]) الجامع لأحكام القرآن ،للقرطبي (ج ١ / ص ١١)

وما فيها من المادة،وما يتصل بذلك من أحداثها أو حركاتها أو أصواتها أو غير ذلك"[٨٥]،"وفي هذا ما يُبَصِّر الداعية إلى"أن مواقع أصوات الحروف هادية إلى مواقع عناصر المعاني النفسية والعقلية لجماع معنى القول"[٨٦]،وفيما يلي؛بيان أثر تنوع القول القرآني،في استخدام كل أصوات اللغة وتوظيفها على نحو بديع.

١ – الأثر الصوتي للقرآن:

أ ـ "جماع الأثر في البيان القرآنيّ الكريم يحمل أثرين عظيمين ممتزجين في بنائه اللسانيّ المعجز،الأثر الأول:موضوعيّ مُتَعَقَّل والأثر الأخر النفسيّ الانطباعيّ،ندركه من خلال جرس البيان،وإيقاعه، وهو لايقل أهمية عن الأثر الآخر،في تحقيق مقصد القرآن الأعظم،وتقريره في النفوس،لتنبعث إلى ما يراد منها ولها"[٨٧]،وقد دعا القرآن الكريم إلى ضروة الالتفات إلى الأثر الصوتي للقول،والإفادة منه في موضوعات الدعوة إلى دين الإسلام،حيث إن له حُسْناً،وبَهَجةً،وسناءً ورفعة للمدعوين،بحسب أحوالهم،ويقرر الإمام الباقلاني(ت ٣٠٦هـ) ~أن القول:"إذا علا في نَفْسِه،كانَ له من الوَقْعِ في القُلوبِ،والتَّمَكُّنِ في النُّفوسِ ما يُذهِلُ ويُبهِجُ،ويُقلِقُ ويُؤنِسُ،ويُطمِعُ ويُؤْيِسُ،ويُضحِكُ ويُبْكِي،ويُحْزِنُ ويُفْرِحُ،ويُسْكِنُ ويُزعِجُ،ويُشجِي ويُطْرِبُ،ويَهُزُّ الأَعطافَ،ويستَميلُ نحوَه الأَسماعَ،ويورِثُ الأَريحيَّةَ والعِزَّةَ،وقد يَبْعَثُ على بَذْلِ المهَجِ والأَموالِ شجاعةً وجوداً،ويَرمي السَّامِعَ من وراءِ رأْيِه مرمىً بعيداً،وله مسالِكُ في النُّفوسِ لَطيفَةٌ،ومَداخِلُ إلى القلوب دقيقة،وبحسب ما يترتب في نظمه،وَيَتَنَزَّلُ في مَوْقِعه ويَجْري على سَمْتِ مَطْلَعِه وَمَقْطَعه،يكون عَجيبٌ تَأثيراتِه،وَبَديع مُقْتَضَياتِه"[٨٨]،ولعل أول ما يلفت نظر المدعو:"ويستدعي انتباهه،من أسلوب القرآن الكريم،خاصية تأليفه الصوتي في شكله وجوهره،وهذا الجمال التَّوْقِيعِي في لغة القرآن،لا يخفى على أحد،حتى الذين لا يعرفون لغة العرب،وأول شيء أَحَسَّتْهُ تلك الأُذُن العربية في نظم القرآن،هو ذلك النظام الصوتي البديع،الذي قُسِّمتْ فيه الحركة والسكون تقسيماً منوعاً،يجدد نشاط التالي والسامع لسماعه ذلك،مَثَلُ القرآن الذي أنزله الله غيثاً تحياً به القلوب،وتنبت به ثمرات الأخلاق الزكية،والأعمال الصاحة"[٨٩]،ومن فنون القول التي وردت في سور القرآن ذات الدلالات

---

[٨٥] جمهرة مقالات الاستاذ محمود محمد شاكر ج٢ ص ٧٠٨-٧٣٥ .

[٨٦]) نظرية النظم وقراءة الشعر عند عبد القاهر الجرجاني ، محمود توفيق محمد سعد (١ / ٣٨)

[٨٧]) العزف على أنوار الذكر ، محمود توفيق محمد سعد (١ / ٢١١)

[٨٨]) إعجاز القرآن ، للباقلاني (١ / ٢٧٧)

[٨٩]) النبأ العظيم،محمد دراز،ص ١٠١،١٠٢ ، بتصرف يسير .

الصوتية،"استفتاح تسع وعشرين سورة بحروف هجائية مقطعة"[٩٠]،ويمكن أن نستبين أثرها على المدعوين،فيما ذكره العلماء،حيث قال الزمخشري (ت: ٥٣٨)~:"فكأن الله عزّ اسمه عدّد على العرب الألفاظ التي منها تراكيب كلامهم إشارة إلى ما ذَكرتُ من التبكيت لهم،وإلزام الحجة إياهم"[٩١]، ومن الحكم البالغة في تقديم الحروف ما ذكره الإمام الْخُوَيِّيُّ (ت ٦٩٣ هـ) ~:"وإنما لم يستعمل الكلمات المشهورة في التنبيه ك: ألا وأمَا؛لأنها من الألفاظ التي يتعارفها الناس في كلامهم، والقرآن، كلام لا يشبه الكلام، فناسبَ لأن يؤتىَ فيه بألفاظِ تنبيه لم تُعهد،لتكون أبلغ في قرع سمعه"[٩٢]،فأنزل الله هذا النظم البديع ليعجب المدعوين منه،ويكون تعجبهم منه سبيلاً لاستمالتهم،وسماعهم له وسيلةً لاستماع ما فيه من عقائد وشرائع وأخلاق،فَتَرِقُّ القلوب،وتَلِينُ الأفئدة،وتُثْمرُ العمل،وتسارع إلى الاستجابة لداعي الحق،ومن النماذج في بيان الأثر الصوتي لفواتح سور القرآن،تكرار بعض الحروف ذات الصوت الدلالي المميز مثل الحرف "ق" في سورة ق،تكرر في أربع وخمسين مرة[٩٣]،من حكمته وفائدته تذكير المدعوين،بموضوعات:الخلق والقيامة،والتقدم بالوعد،والخوف من الوعيد،وذكر القلب،والقرن،والتنقيب في البلاد،والمقصود الدَّعَوِي المراد"أن يكون أوصل إلى الغرض،وأقوله في الأسماع والقلوب،وتمكين المكرر في النفوس وتقريره،جرياً على عادة العرب في افتنانهم في أساليب الكلام،وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب متنوّعة"[٩٤]،وإبراز دلالة الألفاظ لديهم بشكل واضح ومؤثر،لما في ذلك من تحريضهم،على الاعتقاد الصحيح،والعمل الصالح،وتنبيههم إلى معالم الاعتبار والاستدلال،في المواعظ والقصص والأمثال،والتذكير بسنن الله تعالى القدرية،والكونية في مجتمع الدعوة،وتأثير أعمال الخير والشر في حياة أمة الدعوة والاستجابة،ومن فنون القول"التناسق الصوتى فى النظم القرآنى المعجز،وجه من وجوه إعجازه،التى باين بها كلام البشر والجن،وجعل لِتِلاوته حَلاوةً جَذَّابةً للأسماع،كما جذبت معانيه القلوب،وأسرت العقول،واستولت على ألباب أولى الألباب"[٩٥]،ومن أمثلته،قوله تعالى:{

[illegible]

---

[٩٠]) البرهان في علوم القرآن ، للزركشي(١ / ١٦٥)

[٩١]) الكشاف ، للزمخشري (ج ١ / ص ٧٢)

[٩٢]) الإتقان في علوم القرآن ،للسيوطي (٣/ ٣١)

[٩٣]) انظر : البرهان في علوم القرآن ، للزركشي (١ / ١٦٩)

[٩٤]) الكشاف، للزمخشري (١/ ٣١)

[٩٥]) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين ، محمود حمدى زقزوق (١ / ٧٤)

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾[٩٦]،تميز القول في الآيات الكريمة،بالدرجة العليا من التواؤم الصوتي،من حيث التسلية والترغيب للرسول ﷺ الداعي،بالعطاء الغير محدود،والترهيب للمدعو الشانئ للرسول ﷺ،ومن صيغ التواؤم،ذكر ثواب المستجيبن من المدعوين، فيكون ذلك أدعى إلى الإيمان وعدم التكذيب،قال تعالى:﴿ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً،وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً ،مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلَا زَمْهَرِيراً،وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً ﴾[٩٧]،في الآية إيقاع متناسق،يأخذ بمجامع قلوب المدعوين،ويشد مشاعرهم إلى مظاهر هذا النعيم المادي في الجنة،للمستجيبين لدعوة الحق،وهذا التفوق العظيم للتواؤم الصوتي،يرجع أثره،إلى جاذبية تقبل المدعو للقول،ودقة إنصاته،لما يدركه من"حُسن الكلام في السمع،وتَقَبُّلِه في الطباع،وسهولته في اللفظ،وتَقَبُّل المعنى له في النفس،لما يرد عليها من حسن الصورة وطريق الدلالة،فإذا انضاف إلى ذلك حسن البيان في صحة البرهان في أعلى الطبقات،ظهر الإعجاز للجيد الطباع،بجواهر الكلام"[٩٨]،ودنت الاستجابة الحسية التي يجدها المدعو،وتمكنت من قلبه وعقله،ويقرر أبو هلال العسكري(ت ٣٩٥ هـ)~هذا المعنى فيقول:"وتخيّر الألفاظ،وإبدال بعضها من بعض،يوجب الْتِئَام الكلام،وهو من أحسن نعوته،وأزين صفاته،فإن أمكن مع ذلك منظماُ من حروف سهلة المخارج كان أحسن له وأَدْعَى للقلوب إليه،وإن اتفق له أن يكون موقعه في الإطناب والإيجاز أَلْيَق بموقعه،وأحقّ بالمقام والحال،كان جامعاً للحسن،بارعاً في الفضل،وإن بلغ مع ذلك أن تكون مَوَارِدَه تُنْبِيكَ عن مصادره،وأوّله يكشف قناع آخره،كان قد جمع نهاية الحسن،وبلغ أعلى مراتب التمام"[٩٩]،ومن شواهد الآثار الصوتية لتناسق القول القرآني،قوله تعالى:﴿ وَالْفَجْرِ ،وَلَيَالٍ عَشْرٍ ،وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ،وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ،هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾ ،في الآيات إيقاع متناسق،يأخذ بمجامع قلوب المدعوين،ويشد مشاعرهم إلى مظاهر هذا النعيم المادي في الجنة،للمستجيبين لدعوة الحق،وهذا التفوق العظيم للتواؤم الصوتي،يرجع أثره،إلى جاذبية تقبل المدعو للقول،ودقة إنصاته،لما يدركه من"حُسن الكلام في السمع،وتَقَبُّلِه في الطباع،وسهولته في اللفظ،وتَقَبُّل المعنى له في النفس،لما يرد عليها من حسن الصورة وطريق الدلالة،فإذا انضاف إلى ذلك حسن البيان في صحة البرهان في أعلى الطبقات،ظهر الإعجاز للجيد الطباع،بجواهر الكلام"[٩٨]،ودنت الاستجابة الحسية التي يجدها المدعو،وتمكنت من قلبه وعقله،ويقرر أبو هلال العسكري(ت ٣٩٥ هـ)~هذا المعنى فيقول:"وتخيّر الألفاظ،وإبدال بعضها من بعض،يوجب الْتِئَام الكلام،وهو من أحسن نعوته،وأزين صفاته،فإن أمكن مع ذلك منظماُ من حروف سهلة المخارج كان أحسن له وأَدْعَى للقلوب إليه،وإن اتفق له أن يكون موقعه في الإطناب والإيجاز أَلْيَق بموقعه،وأحقّ بالمقام والحال،كان جامعاً للحسن،بارعاً في الفضل،وإن بلغ مع ذلك أن تكون مَوَارِدَه تُنْبِيكَ عن مصادره،وأوّله يكشف قناع آخره،كان قد جمع نهاية الحسن،وبلغ أعلى مراتب التمام"[٩٩]،ومن شواهد الآثار الصوتية لتناسق القول القرآني،قوله تعالى:﴿ وَالْفَجْرِ ،وَلَيَالٍ عَشْرٍ ،وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ،وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ،هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾

---

[٩٦]) سورة الكوثر: ١- ٣ .

[٩٧]) سورة الإنسان ١٢ الى ١٧ .

[٩٨]) النكت في إعجاز القرآن،للرماني،ص ٩٤-٩٦،بتصرف يسير .

[٩٩]) الصناعتين: الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري (ص: ١٤١)

)[100]،فاشتمل القول في هذه الآيات الكريمة،على الأثر الصوتي والإيقاع اللفظي والمعنوي،لتذكير قلوب المدعوين بالوعد والوعيد،وبدء الخلق وإعادته،والتوحيد وإثبات النبوات،وغير ذلك من مقاصد الإسلام العظيمة،والقلب مدعو في كل آية من سورة القمر؛لمشاهدة،واستماع هذا الإيقاع الصوتي البالغ التأثير،بالترهيب تارة،وبالترغيب أخرى،يدعوهم إلى التفكير في حقيقة البعث وأهواله،والطابع الصوتي المثير فيها،يُرَسِّخ أصول العقيدة الإسلامية،بأساليب تستجيش الانفعالات والمشاعر،وتحرك القلوب لإدراك هذه الحقائق،والقصد للاستجابة،والتلبية لداعي الإيمان،باقتناع هادئ وعميق.

ب- ومن أمثلة الإيقاع الصوتي،والمعنوي قوله عز وجل:{ ، ، } [101] ففي هذه الآيات الكريمة،يتم إيصال معاني الدعوة الإسلامية إلى قلب النبي ﷺ،في أكمل إيقاعٌ صوتي ومعنوي،وفي أحسن صورة من الجرس الصوتي المنسجم،والذي يستشعر منه المدعو حسناً وحلاوةً ونشوةً وأريحيةً،وفيضاً من المعاني النفسية المقبولة،وفيها إثارة الإحساس الوجداني لدى المدعو،وإيقاظ الضمير الإنساني فيه،للتوجه،نحو إرشاداته ونصائحه،والعمل بأحسنها،ولتتمكن في قلب المتلقى،المعاني الرئيسة في باب العقيدة والشريعة،وفي تقرير هذه الخاصية يقول الامام عبدالقاهر (ت٤٧٤هـ):"ما تراه من الطلاوة والظرف والحسن والحلاوة والأريحية والنشوة؛إنما يأتيك من مواقع الألفاظ واختيارها،واختيار هيأتها،ومَا الطلاوة والحلاوة إلاَّ من حسن إيقاع الكلام" [102]،وهكذا نجد انتفاع المدعو وتأثره بالقوة الصوتية للقول،في حياته العلمية والعملية والمهنية،مستفيضةً في كل آية من آي القرآن،لتحقيق الغرض الفني والتشريعي لدعوة الإسلام .

ب – الأثر الصوتي في السنة:

أ-استثمر رسول الله ﷺ في ميدان دعوته،جميع معطيات اللغة،بتوظيف كافة مراتبها ومستوياتها،معتمداً على فنية الأداء الصوتي،ليكون أبلغ في التأثير على المدعوين،وحُسن استقبالهم

---

[100]) سورة القمر:٤- ٧ .

[101]) سورة المزمل: ٢ .

[102]) دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني، ١٠٦ .

للإيقاعات الجمالية المتنوعة والمؤتلفة،وتفاعلهم مع معطياتها المعنوية المتسقة،ومما ثبت في فصاحة لسانه،وحسن منطقه،لتقرير أسس الدعوة،والعمل بأحكام الشريعة،نقتبس شواهد مضيئة،من ذلك النداء العام،والنفير البعيد،الذي حصل به تجمع المدعوين من قريش،وأعلمهم ﷺ بأنهم أمام خطب عظيم،ألا وهو:سرعة الاستجابة،لداعي الإيمان لتحصل النجاة،عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّفَا ذَاتَ يَوْمٍ،فَقَالَ:«يَا صَبَاحَاهْ»،فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ، فَقَالُوا:مَا لَكَ؟ قَالَ:«أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ العَدُوَّ يُصَبِّحُكُمْ أَوْ يُمَسِّيكُمْ،أَمَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟»قَالُوا:بَلَى،قَالَ:«فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ»[١٠٣]،تميز أسلوب النبي ﷺ بخصائص صوتية،تشتمل على الإنذار والتخويف من يوم القيامة،هزت مشاعر كفار قريش،واختار ﷺ من الحروف التي تناسب معاني الترهيب،إذ المدعوين كانوا من المعاندين الجاحدين،فاستدعى المقام البيان المعنوي والصوتي،الملائم للحالة النفسية التي يتصف بها أولئك المخاطبين،"والبدء بالانذار بيوم القيامة،هو الأسلوب الأمثل في الدعوة؛لأنه يضع كل عاقل مهما كانت عقيدته أو اتجاهاته،أمام مسؤليته،ويثير من نفسه كل قواها،كالصدمة العنيفة تصيب الإنسان على غفلة منه،فلا تبقى فيه جارحة،إلا وهي في ذروة تيقظها،وكمال تهيئها للعمل،ودرءاً للخطر المحيق"[١٠٤]،وهذا هو المنهج الدعوي الأمثل،الذي أولاه النبي ﷺ كل اهتمامه،في جميع مراحل دعوته،القولية والعملية،ومن شواهد مَلَكَةِ الإقناع،في البلاغة الصوتية،التي وهبها الله لرسوله ﷺ قصة إسلام صحابي من بلعدوية[١٠٥]،قَالَ:«انْطَلَقْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَنَزَلْتُ عِنْدَ الْوَادِي فَإِذَا رَجُلاَنِ بَيْنَهُمَا عَنْزٌ وَاحِدَةٌ،وَإِذَا الْمُشْتَرِي يَقُولُ لِلْبَائِعِ :أَحْسِنْ مُبَايَعَتِي،قَالَ:فَقُلْتُ فِي نَفْسِي هَذَا الْهَاشِمِيُّ الَّذِي أَضَلَّ النَّاسَ أَهُوَ هُوَ؟ قَالَ:فَنَظَرْتُ،فَإِذَا رَجُلٌ حَسَنُ الْجِسْمِ،عَظِيمُ الْجَبْهَةِ،دَقِيقُ الأَنْفِ،دَقِيقُ الْحَاجِبَيْنِ،وَإِذَا مِنْ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إِلَى سُرَّتِهِ مِثْلُ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ شَعَرٌ أَسْوَدُ،وَإِذَا هُوَ بَيْنَ طِمْرَيْنِ،قَالَ:فَدَنَا مِنَّا فَقَالَ:السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ،فَرُدُّوا عَلَيْهِ، فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ دَعَا الْمُشْتَرِي،فَقَالَ:يَا رَسُولَ اللهِ،قُلْ لَهُ يُحْسِنْ مُبَايَعَتِي،فَمَدَّ يَدَهُ وَقَالَ:أَمْوَالَكُمْ تَمْلِكُونَ،إِنِّي أَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يَطْلُبُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ بِشَيْءٍ ظَلَمْتُهُ فِي مَالٍ،وَلاَ دَمٍ،وَلاَ عِرْضٍ،إِلاَّ بِحَقِّهِ،رَحِمَ اللَّهَ امْرَءًا سَهْلَ الْبَيْعِ،سَهْلَ الشِّرَاءِ،سَهْلَ الأَخْذِ،سَهْلَ الإِعْطَاءِ،سَهْلَ الْقَضَاءِ،سَهْلَ

---

[١٠٣]) سبق تخريجه انظر ص ١٢ .

[١٠٤]) أسلوب الدعوة القرآنية،عبدالغني بركة،١٠٤ .

[١٠٥]) بلعدويه وهم ولد مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة العدوية أمهم اسمها فكيهة بنت مالك بن تميم بن الدول بن جل بن عدي بن عبد مناة بن أد،ومنهم:يَعْلَى بْنُ أُمَيَّةَ ،وسلمى بن القين وحرملة بن مريطة كانا من المهاجرين مع النبي ﷺ،وكلهم من بِلْعَدَوِيَّةِ،انظر : طبقات خليفة ، للعصفري -(ج ١ / ص ٢٢) معجم الصحابة لابن قانع - (ج ٧ / ص ١٥٠)الإنباه على قبائل الرواة ،لابن عبدالبر(١ / ١٣) الإصابة في تمييز الصحابة ،لابن حجر (١ / ١١٨) .

التَّقَاضِي،ثُمَّ مَضَى،فَقُلْتُ:وَاللَّهِ لأَقُصَنَّ هَذَا،فَإِنَّهُ حَسَنُ الْقَوْلِ فَتَبِعْتُهُ فَقُلْتُ:يَا مُحَمَّدُ فَالْتَفَتَ إِلَيَّ بِجَمِيعِهِ ،فَقَالَ:مَا تَشَاءُ ؟فَقُلْتُ:أَنْتَ الَّذِي أَضْلَلْتَ النَّاسَ وَأَهْلَكْتَهُمْ وَصَدَدْتَهُمْ عَمَّا كَانَ يُعْبَدُ آبَاؤُهُمْ ؟ قَالَ : ذَاكَ اللَّهُ،قُلْتُ:مَا تَدْعُو إِلَيْهِ ؟قَالَ:أَدْعُو عِبَادَ اللهِ إِلَى اللهِ،قَالَ:مَا تَقُولُ ؟ قَالَ:أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنِّي مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ،وَتُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ،وَتَكْفُرُ بِاللاَّتِ وَالْعُزَّى،وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ،وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ،قَالَ: قُلْتُ:وَمَا الزَّكَاةُ؟قَالَ:يَرُدُّ غَنِيُّنَا عَلَى فَقِيرِنَا،قَالَ:قُلْتُ:نِعْمَ الشَّيْءُ تَدْعُو إِلَيْهِ قَالَ:فَلَقَدْ كَانَ وَمَا فِي الأَرْضِ أَحَدٌ يَتَنَفَّسُ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْهُ،فَمَا بَرِحَ حَتَّى كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ وَلَدِي،وَوَالِدِي،وَمِنَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ قَالَ:فَقُلْتُ:قَدْ عَرَفْتُ،قَالَ:قَدْ عَرَفْتَ ؟قُلْتُ:نَعَمْ قَالَ:تَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ،وَأَنِّي مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ،وَتُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيَّ؟قَالَ:قُلْتُ:نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ»[١٠٦]،لقد كان لهذا القول النبوي اللطيف،حسناً وتأثيراً ووقعاً في نفس المدعو المتلقي،من جميع النواحي اللفظية والمعنوية،حيث استمد هذا التأثير من تناسق العبارات،وسهولتها على المنطق،وكمال الانسيابية في انتظام الصوت،وكمال السبك،ودقة الإيجاز في عرض أصول الدين الإسلامي،وأسهمت هذه التأثيرات المتنوعة في قناعته بدخول الإسلام،وحرص ﷺ على التلوين الصوتي،الذي يجمع حسن البيان،وبلاغة التعبير،وعمق القول،مما يعطي الدلالة الكافية للهداية والإقناع وإقامة الحجة،ومن أمثلة هذا النوع الدعوة ﷺ إلى توحيد الربوبية والألوهية،كما في دعوة النبي ﷺ لرفاعة بن رافع رضي الله عنه،قال:سَمِعْنَا بِالنَّبِيِّ ﷺ فَأَنْكَرْنَا فَقُلْنَا:مَنْ أَنْتَ؟قَالَ:انْزِلُوا فَنَزَلْنَا فَقُلْنَا:أَيْنَ الرَّجُلُ الَّذِي يَدَّعِي وَيَقُولُ مَا يَقُولُ؟فَقَالَ:أَنَا فَقُلْتُ:فَاعْرِضْ عَلَيَّ فَعَرَضَ عَلَيْنَا الإِسْلاَمَ وَقَالَ:«مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَالْجِبَالَ؟قُلْنَا:خَلَقَهُنَّ اللَّهُ قَالَ:فَمَنْ خَلَقَكُمْ؟قُلْنَا:اللَّهُ قَالَ:فَمَنَ عَمِلَ هَذِهِ الأَصْنَامَ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا؟قُلْنَا:نَحْنُ قَالَ:فَالْخَالِقُ أَحَقُّ بِالْعِبَادَةِ أَمِ الْمَخْلُوقِ،فَأَنْتُمْ أَحَقُّ أَنْ تَعْبُدَكُمْ وَأَنْتُمْ عَمِلْتُمُوهَا،وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَعْبُدُوهُ مِنْ شَيْءٍ عَمِلْتُمُوهُ،وَأَنَا أَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَشَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَتَرْكِ الْعُدْوَانِ بِغَصْبِ النَّاسِ قُلْنَا:لاَ وَاللَّهِ لَوْ كَانَ الَّذِي تَدْعُو إِلَيْهِ بَاطِلاً لَكَانَ مِنْ مَعَالِي الآمُورِ وَمَحَاسِنِ الأَخْلاَقِ»"[١٠٧]،هذا لون من عقد المقارنة الصوتية لحقيقة الخلق والعمل،وأحقية العبادة،مشتمل على الحجاج الهادئ المقنع للمدعوين من المشركين،يتضمن

---

[١٠٦]) مسند أبي يعلى (٦ / ٢٠٦ – ٢٠٥)٦٨٣٠، دلائل النبوة للبيهقي (١/ ٢٤٨)،مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٩/ ١٨)قال الهيثمي:رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى، وَفِيهِ رَاوٍ لَمْ يُسَمَّ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ وُثِّقُوا، قال ابن حجر:"وَلَوَائِحُ الْقُوَّةِ لَائِحَةٌ عَلَى الْمَتْنِ لِكَثْرَةِ شَوَاهِدِهِ" الأمالي المطلقة ٨٥٢ – (١ / ١٩٢)ومنها: صحيح البخاري (٢ / ٧٣٠) المعجم الأوسط – (٦ / ١٠٧)٠

[١٠٧]) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٤ / ١٦٥) وقال:هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، قال ابن كثير : إِسْنَادٌ وَسِيَاقٌ حَسَنٌ ،البداية والنهاية (٤/ ٣٧٠)

أن المنفرد بالخلق،أحق بالعبادة كلها،فكما أنه واحد في خلقه وتدبيره،فإنه واحد في إلهيته وتوحيده،وعبادته،على حد قوله تعالى:{ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ}،وهذه الأصنام"سَمَّاها رسول الله ﷺ مخلوقة لله ومعمولة للعباد،وإن الخالق أحق بالعبادة من المخلوق،وإن الله أحق بالعبادة من شيء عملتموه،ففرق بين الخلق والعمل،وجعل الأصنام مخلوقة،من حيث هي من الجبال،التي قد قرر عليهم أنها مخلوقة،وجعلها معمولة،من حيث أنها لا تسمى أصناما،إلا بعد تصويرهم وتشكيلهم لها"[١٠٨]،إن اهتمام الرسول ﷺ بالخصائص الصوتية للقول،لها أثرها،في ترسيخ أصول العقيدة،وتثبيتها في قلوب المدعوين،وقبولهم لمعاني دعوة الحق.

ب- ومن ذلك التوازن في إبراز القيم الجمالية والفنية للنص،وتكاملها في تآلف متناسق ومثاله دعوته ﷺ إلى فضائل من أعمال البر،يقول ﷺ« مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»[١٠٩]،فدعوة النبي ﷺ للسعي في قضاء مصالح المدعوين،تشرق جلية من خلال"الموائمة بين حبات هذا العقد كَاملةً،ففيها التناسق والتوازن،في البريق والأسلوب،وتكامل الأشعة والظلال،والتناظر في البناء اللفظي والأسلوب"[١١٠]،مما يضفي مزيداً من التأثير على نفوس المدعوين،وأفكارهم وقلوبهم،بإعلامهم ارتباط الجزاء بالعمل ومشاكلته له ومناسبته له،على قاعدة الجزاء من جنس العمل في الخير والشر،فينتظم عقد الأخوة بينهم،ويُسْهِمُوا في صُنْع أسباب الخير،في ضوء هذه المنظومة القولية الرائعة،ورجاءً لصلاح حالهم،شأن الناصح الساعي بكل وسيلة إلى الإرشاد والهدى،والتوادد والتراحم والتعاطف للجماعة المؤمنة،فإن الإسلام دعا إليها،بمختلف الوسائل والأساليب الشرعية،ومنها الترادف اللفظي وهو لون آخر من الخصائص الصوتية،ذي الدلالة اللفظية العامة،فقد أَصَّلَ النبي ﷺ قاعدة مهمة في قضية أثر القول في الدعوة،وعظم المسؤولية المترتبة عليه،لدى المدعوين عموماً،مُقْتَبسَةً من قوله

---

[١٠٨]) إيثار الحق على الخلق ،لابن الوزير (١ / ٣٢٠).

[١٠٩]) صحيح مسلم ص١٠٨٢، كتاب الذكر، باب (١١) رقم (٢٦٩٩)، سنن أبي داود ص٢٢٩، كتاب الصلاة، باب (٣٤٩) رقم (١٤٥٥).

[١١٠]) روائع من أقوا ل الرسولﷺ،عبدالرحمن الميداني،ص ٣١١ .

تعالى: {﴿ ﴾ ١١١ يتجلى ذلك في التوازن في القيم الصوتية،من خلال سمات الشدة والرخاء،والهدوء والسكينة،والوسطية،والثقل والغرابة،ومثاله حديث أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ:«مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى،كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ،لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا،وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ،لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»[١١٢]،إن تعدي أثر القول ونفعه الدعوي،إذا كان هُدَىً وحق،إلى المدعوين،يعطي أثراً واضحاً في استجابتهم،وتفاعلهم حسياً ومعنوياً،مع معطيات حقائق دعوة الإسلام،يصل إلى شغاف قلوبهم ويؤثر في نفوسهم،ويوجههم توجيهاً حسناً؛ليجعل منهم خير أمة أخرجت للناس،في الدعوة،والتربية،والاستقامة،ويكتسب الداعي إلى الهدى،أجر من تبعه،لما يتسبب عنه من خير وفلاح للمدعوين،وعكس ذلك الداعي إلى الضلالة،يحمل إِثْمَ ضَلالِه،وأوزار مَنْ ضَلَّهم،وبذلك يتبين خطورة تأثير القول الصوتي والمعنوي،وما يجلبه من وقع في أذن المدعو،واقتداءً لدى المتلقي،وما تُشِيعُهُ الكلمات،من تأثير نفسي في مجتمع الدعوة،إيجاباً أو سلباً.

ج- ومن شواهد استخدام الرسول ﷺ أقوالاً،تميزت بجرسها الخاص،لرسم صورة المعنى المناسب لحال المدعو،دعوته للاستعداد والبداءة بالأعمال الصالحة،قبل حلول الفتن والمصائب،فاختار حروفاً ذا أصوات فيها الشدة لتكون أكثر تنبيهاً،وأعظم تأثيراً،على مشاعر المدعوين الوجدانية،والتخيلية،المتوقعة حقاً،والتحذير من التباطؤ فيها،عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:« مَا يَنْتَظِرُ أَحَدُكُمْ إِلا غِنًى مُطْغِيًا، أَوْ فَقْرًا مُنْسِيًا،أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا،أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا،أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا، أَوِ الدَّجَّالُ،وَالدَّجَّالُ شَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَةُ،وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ»[١١٣]،إن غفلة المدعوين وطول الأمل،والنفس الأمارة بالسوء،داعية إلى ثمرات سيئة،منها:"أنه إذا طال الأمل،هاج منه أشياء:ترك الطاعة،والكسل فيها،وترك التوبة وتسويفها،والحرص على الجمع والاشتغال

---

[١١١]) سورة النحل: ٢٥ .

[١١٢]) صحيح مسلم ص١٠٧٤، كتاب العلم، باب (٦) رقم (٢٦٧٤)، سن أبي داود ص٧٠٠، كتاب السنة، باب (٧) رقم (٤٦٠٩)،

[١١٣]) المعجم الكبير للطبراني - (١٩ / ٣١٨) ٧٧٤ ،رواه ابن ماجه . قال في "الزوائد": "إسناده حسن"

بالدنيا،وقسوة القلب ونسيان الآخرة "[١١٤]،فاستدعى ذلك اختيار هذه التعبيرات الصوتية الجذابة،وتتجلى في صورة مؤثرة،تَتَمَلَّكُ المشاعرَ،وتَلْمَسُ الوجدان،وتَهُزُّ النفس،وتستحث الهمة إلى المسارعة إلى الطاعة والاتباع،وبذلك يتبين ما للبلاغة الصوتية للقول،من دور في ترسيخ المعاني المرغب فيها أو المرهب منها،والتأثير على النفوس والأفكار والقلوب،مما يحرض الإرادة ويبعثها على الالتزام السلوكي بها،وفق ما حصله المدعو من اقتناع عقلي،ونفذ في أعماقه من انطباعات نفسية،ودلالات صوتية،وليس نقل الأفكار،وتوصيل المحتوى العقلي وإبلاغه لجمهور المدعوين،الوظيفة الوحيدة المؤثرة للكلام،بل هناك تأثير الأصوات،والنغمات،والإيقاعات،وما تحدثه من عوامل نفسية،ووظائف أخرى تؤكد الوحدة المتكاملة للحدث القولي،وفاعلية تأثيرها،في نفوس المدعوين،وسلوكياتهم،واتضح صفة التكامل،لعناصر الجمال والكمال الأدبي الرفيع،عند رسول الله ﷺفي بيان الحق،وإقامة الحجة فيه،ونصاعة البيان في عرضه،وكمال الأداء في إيصاله،وبأسلوب فني يؤثر في النفس،ويجمع لها الفائدة والمتعة،والدعاة إلى الله تعالى مدعوون باقتفاء هذا المنهج الأدبي القرآني النبوي الكريم،وتطبيقه في دعوتهم،والحكمة ضالة الدعاة،والفن القولي سلاح الدعوة،وأَدَاةٌ مؤثرة على عقول المدعوين،لتمدهم بالعلوم النافعة،والأعمال الصالحة،ونماذج السلوك الحميد .

المطلب الرابع :- الأثر الدلالي العلمي:

للقول أثر دلالي واضح في المدعوين،ولهذا أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يخاطبهم بالقول الحق،قال تعالى:{ ☎ ⇔ ▫ ◆ ↗ ✍ ✍ ☒ ⊥ ◆ ↗ ✍ ✍ ☒ ⊥ ▫ ♦ ▪ ❶ ◆ ▫ ♦ ▪ ❷ ➔ ↗ ❷ ⇗ ❐ }[١١٥]والآية خطاب للنبي ﷺ ولأتباعه،بأن "الْحَقُّ الَّذِي أدعوا إليه من القُرْآنُ والدلالاتُ على وحدانيَّة الله ونبوَّة رسولهِ والايمان والتوحيد والطاعة لله،لَم أتكلَّمْ به مِن قِبَلِ نفسِي،بل مَبْدَؤُهُ مِنْ رَبِّكُمْ جَلَّ وَعَلَا،الَّذِي تَلْزَمُكُمْ طَاعَتُهُ وَتَوْحِيدُهُ،وَلَا يَأْتِي مِنْ لَدُنْهُ إِلَّا الْحَقُّ الشَّامِلُ لِلصِّدْقِ فِي الْأَخْبَارِ،وَالْعَدْلُ فِي الْأَحْكَامِ،فَلَا حَقَّ إِلَّا مِنْهُ جَلَّ وَعَلَا،[١١٦]،فقول الرب تبارك وتعالى،ذو أثر دلالي وأثر صوتي جذاب،يُحدثا معاً أبلغ التأثير في المخاطبين،فيرغبهم في الإيمان به وتوحيده،وتقوم به الحجة على الكافرين،والأثر الدلالي للقول يتنوع،بحسب تنوع أساليب البيان التعبيري المخاطب به المدعو،ويعكس تفاوتاً في درجات الدلاله،بحسب المعاني الدعوية المراد

---

[١١٤]) فيض القدير (٣/ ٥)

[١١٥]) سورة الكهف : ٢٩ .

[١١٦]) انظر:تفسير القرآن العظيم للإمام الطبراني(٤/ ٣٥٥)،أضواء البيان ،للشنقيطي (٣ / ٢٦٦)

تثبيتها،ونعرض نماذج من أفانين القول المؤثرة دلالياً،والمتسقة مع المعنى الدلالى المراد فى الأصول القرآنية والنبوية ليفيد منها الداعية وينفع بها أصناف المدعوين بحسب أحوالهم:

أ- السهل المبين،ونجد كثيراً من آيات القرآن في الدعوة إلى أصول الإيمان،والتزام أحكام الشريعة،والأخلاق الحسنة،والطاعة والاتباع لأوامر الله تعالى والانتهاء عن نواهيه،وردت بالقول السهل الميسور،ليكون الأثر الدلالي هو:الأكثر والأدنى فهماً واستيعاباً لمعانيه،والأوقع تأثيراً،في قلب وفكر المدعو،والأنفع والأجدي لسلوكه وتطبيقه،ففي الدعوة إلى أصول الإيمان قال تعالى:{ ﴿ ﴾ }[117]،وأخبر في هذه الآية،أن الرسول ﷺومن معه من المؤمنين،آمنوا بهذه الأصول العظيمة،إيماناً خالصاً،يستتبع الاعتقاد والعلم والعمل،والدعوة؛والمتأمل في لطائف نظم هذه الآية وفي بدائع ترتيبها الدلالي،"علم أن القرآن،كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه،وشرف معانيه،فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه،ونظم آياته"[118]،ومن المعاني الدلالية،التي لها تأثير مبارك على المدعو،تقديم إيمان الرسول ﷺ واستقلاليته،"تنبيهاً على شرف إيمانه عليه الصلاة والسلام،وأنه سابق لإيمانهم، وأن لا واسطة بينه ﷺ،وبين الإيمان كما بين إيمان المؤمنين وبين الإيمان به واسطة"[119]،فالمدعو يتأثر كثيراً إذا كان الداعي،أول المؤمنين بما يدعو إليه،وأكملهم امتثالاً وتطبيقاً،وأيضاً فيها رفع شأن المدعوين المستجيبين،حيث"ذُكِرَ ﷺ مع المؤمنين تشريفاً لهم وتعظيماً،إذ لا ينظم الجوهر النفيس،إلا مع نفيس مثله"[120]،ومنها التكامل في موضوعات الدعوة،،إذ لَمَّا "كان الرسول الملكي والرسول البشري،والذِّكْر المنزل أموراً متلازمة،يلزم من ثبوت واحد ثبوت الآخرين،ومن الإيمان بواحد الإيمان بالآخرين،فيلزم من كون القرآن حقاً كون جبريل عليه السلام ومحمد ﷺ حقاً،وكذلك يلزم من كون محمد ﷺحقاً كون جبريل عليه السلام والقرآن حقاً،ويلزم من كون جبريل حقاً،كون القرآن ومحمد عليه السلام حقاً،ولهذا جمع الله بين الإيمان

---

[117]) سورة البقرة:٢٨٥ .

[118]) مفاتيح الغيب، للرازي (٧ / ١٠٦)

[119]) تفسير الراغب الأصفهاني (١/ ٥٩٧)

[120]) تفسير ابن عرفة (٢/ ٨٠٧)

بالملائكة والكتب والرسل"[١٢١]،ومنها الثناء والشهادة من الله تعالى للرسول ﷺ والمؤمنون،حيث "آمن الرَّسول ﷺ بما أُنْزِل إليه من ربِّه إيمانُ تحَقيقٍ وشُهُودٍ،والمؤمنونَ كل على قدر إيقان،كُلٌّ واحد منهم آمَنَ بِاللَّهِ على ما يليق به من شهود وعيان،أو دليل وبرهان"[١٢٢]،وهذا الإطراء والمدح من الرب جل وعلا،من أكبر الحوافز المؤثرة في ثبات إيمان المدعوين،والمسارعة إلى السماع والطاعة،المقتضيان القبول وحسن الفهم وكمال المتابعة،وَالإذعان يُنَبِّه النفس دائمًا،إلى ما تُذْعِنُ له،ويبْعثُها دائمًا إلى العمل به،وقد كان من أثر هذا الأسلوب الدعوي الواضح إلى الإيمان،أن زَكَتْ نفوس المدعوين،وطَهُرَتْ قلوبهم،وعَلَت هِمَمهم وتسابقوا في الخيرات،وانتفعوا بهذه الدلالات المعنوية،واقتدوا بها في دعوتهم وعلمهم وعملهم،ومن شواهد تأثر المدعو بالدلالات المعنوية،لقول الرسول ﷺ،ما ورد في إسلام عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ:"رَغِبْتُ عَنْ آلِهَةِ قَوْمِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَذَلِكَ أَنَّهَا بَاطِلٌ،ثُمَّ قَدِمْتُ مَكَّةَ فَسَأَلْتُ فَقَالُوا حَدَثَ فِيهَا رَجُلٌ،يَرْغَبُ عَنْ آلِهَةِ قَوْمِهِ وَيَدْعُو إِلَى غَيْرِهَا،فَرَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي،فَشَدَدْتُ رَاحِلَتِي بِرَحْلِهَا،ثُمَّ قَدِمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ أَنْزَلَ بِمَكَّةَ،فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَوَجَدْتُهُ مُسْتَخْفِيًا،وَوَجَدْتُ قُرَيْشًا عَلَيْهِ أَشِدَّاءَ،فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ فَسَأَلْتُهُ،فَقُلْتُ:أَيُّ شَيْءٍ أَنْتَ؟قَالَ:نَبِيٌّ،قُلْتُ:وَمَنْ أَرْسَلَكَ؟قَالَ:اللَّهُ. قُلْتُ:وَبِمَ أَرْسَلَكَ؟قَالَ:بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ،وَبِحَقْنِ الدِّمَاءِ، وَبِكَسْرِ الأَوْثَانِ،وَصِلَةِ الرَّحِمِ،وَأَمَانِ السَّبِيلِ،فَقُلْتُ:نَعَمْ مَا أُرْسِلْتَ بِهِ،أُشْهِدُكَ أَنِّي قَدْ آمَنْتُ بِكَ، وَصَدَّقْتُ قَوْلَكَ"[١٢٣]،فقد اختار النبي ﷺ من أسلوب الدعوة الأدبي،القول السهل البين،الذي يحمل دلالات معنوية اعتقادية،وأخلاقية،حسنة السمت،بعيدة الأثر في نفس المدعو،مألوفة لعقله،ويسيرة على قلبه،مما جعل عمرو رضي الله عنه يقتنع بدخول الإسلام،فقد وجه عقله إلى تدبر حقائق الربوبية،والتفكر في أصول الأخلاق الحسنة،المستلزمة توحيدالله تعالى بالعبادة،وعدم الشرك معه،بأسلوب دلالي مباشر،وعرض محتويات الدعوة بترتيب أَوْلَوِي متناسق،بذكر الأصول ثم الفروع،ورعاية الحالة النفسية التي وصل إليها المدعو،حيث كان مقتنعاً ببطلان الشرك،وفساد أهله،وكان يبحث عن الدين الحق،فَدَلَّهُ النبي ﷺ على المضمون الدعوي الصحيح الذي يتوخاه،وما هو ملائم ولائق بالمناسبة،والموقف الدعوي،الذي ملك به قلبه وفكره،وجذبه إلى الهداية.

---

[١٢١]) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، للإمام ابن تيمية (٥ / ٣١٣)

[١٢٢]) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، أبو العباس أحمد الفاسي (١/ ٣١٨)

[١٢٣]) الطبقات الكبرى،لابن سعد (٤/ ١٦٤) المستدرك ، للحاكم، ٤٤١٨ (٣ / ٦٥)وقال :هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ، مسند الإمام أحمد (٢٨/ ٢٣١)١٧٠١٦ قال المحقق: حديث صحيح،وإسناده حسن .

ب- ومن الدلالات المعنوية للقول،أن يكون بليغاً رصيناً،قوي الجزل،حسن السبك،ومن أمثلته قَوْله تعالى:{ ﴿ ﴾ [124]،قال القرطبي(ت ٦٧١هـ)~:"هَذِه الْآيَة بِمَا تَضَمَّنت من الْأَحْكَام،وَتَفْسِير الْحَلَال وَالْحرَام،والإعراض عَن أهل الْجَهْل،والاجترام،وَالْأَمر بِالْتِزَام أَخْلَاق الْكِرَام؛تَدُلُّ دلَالَة قَاطِعَة،على أَنَّهَا كَلَام الْعَزِيز العلام،مَعَ مَا هِيَ عَلَيْهِ من اللَّفْظ الجزل الرصين؛الَّذِي يروع قُلُوب العارفين،ويثلج قُلُوب القارئين والسامعين"[125]،ومن شواهده حديث،مُعاوِيَة بن الحكم السُّلَمي ﷺ قال: بَيْنَا أنَا أُصَلّي مَعَ رسول الله ﷺ إذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَرَمَانِي القَوْمُ بِأبْصَارِهِمْ! فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهُ،مَا شَأنُكُمْ تَنْظُرُونَ إلَيَّ؟! فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بأيديهم عَلَى أفْخَاذِهِمْ! فَلَمَّا رَأيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلّى رسول الله ﷺ فَبِأبِي هُوَ وَأُمِّي،مَا رَأيْتُ مُعَلِّماً قَبْلَهُ وَلا بَعْدَهُ أحْسَنَ تَعْلِيماً مِنْهُ، فَوَاللهِ مَا كَهَرَنِي، وَلا ضَرَبَنِي، وَلا شَتَمَنِي. قَالَ:«إنَّ هذِهِ الصَّلاَةَ لا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلامِ النَّاسِ، إنَّمَا هِيَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ، وَقِراءةُ القُرْآنِ»[126]،ومما يفيده المدعو وينتفع به من أسلوب النبيﷺ، "استحباب الموعظة بما يحرك القلوب،من الكلام الجزل الجامع البليغ"[127]،وقد ظهر أثر ذلك في نفس ومشاعر هذا الرجل،فقد تأثر معاوية ﷺ بقول النبي الحكيم ﷺ،يَدُلُّ لذلك قوله:"ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه"،والدعوة المحببة إلى النفوس،يقبلها الإنسان وينشرح بها صدره،قال ابن الجوزي(ت ٥٩٧ هـ) ~:"وَهَذَا يعلم المؤدبين كَيفَ يؤدبون،فَإِن اللطف بالجاهل قبل التَّعْلِيم،أَنْفَع لَهُ من التعنف"[128]،ولكل من هذا اللفظ والمعنى الجَزْلُ،أسلوبه الفخم العذب،الذي يلامس من نفوس المدعوين،مواطن التأثير والاستجابة،ومن عقولهم مواقع القبول،والاطمئنان،"وليكون آية بَيِّنَةً لِنبيه ﷺ ،ودِلَالةً على صحة ما دعا إليه من أمر دينه" .[129]

ج- ومن الدلالات المعنوية،القول الجميل المحبب لنفوس المدعوين،كما ورد في دعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام،قال تعالى:{ ﴿ ﴾

---

[124]) سورة الْأَعْرَافِ: ١٩٩

[125]) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، محمد بن أحمد القرطبي (ص: ٣٣٠)

[126]) صحيح مسلم ص ٢١٦، كتاب المساجد، باب (٧)، رقم (٥٣٧)، سنن النسائي ١٩/٣، ٢٠، كتاب السهو، باب (٢٠)، رقم (١٢١٧)، سنن ابي داود ص١٤٨، باب (١٧١)، رقم (٩٣٠)،

[127]) تطريز رياض الصالحين ، فيصل بن عبد العزيز المبارك (ص: ٤٤٩)

[128]) كشف المشكل من حديث الصحيحين،لابن الجوزي (٤/ ٢٣٣)

[129]) البرهان في علوم القرآن ،للزركشي (٢/ ١٠٢)

عطية (ت:٥٤٢هـ)~:"وقوله:فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ معناه:بتوبتك على الكفرة حتى يؤمنوا،لا أنه أراد أن الله يغفر لكافر،لكنه حَمَلَهُ على هذه العبارة ما كان يأخذ نفسه به من القول الجميل،والنطق الحسن وجميل الأدبﷺ "[١٣١]،وقال تعالى{وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا}،قال الرازي(ت ٦٠٦هـ) ~:"وَاعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا أَمَرَ بِذَلِكَ لِأَنَّ الْقَوْلَ الْجَمِيلَ يُؤَثِّرُ فِي الْقَلْبِ فَيُزِيلُ السَّفَهَ،أَمَّا خِلَافُ الْقَوْلِ الْمَعْرُوفِ،فَإِنَّهُ يَزِيدُ السَّفِيهَ سَفَهًا وَنُقْصَانًا"[١٣٢]،كما أرشد سبحانه وتعالى،إلى حُسْنُ الخلق مع المدعو،لأنّ القول الجميل يفرح قلبه،ويروح روحه،ومن شواهده،حديث ضِمَادٌ ﷺ قَالَ:قَدِمْتُ مَكَّةَ مُعْتَمِرًا،فَجَلَسْتُ مَجْلِسًا،فِيهِ أَبُو جَهْلٍ وَعُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ،فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا،وَسَفَّهَ أَحْلَامَنَا،وَأَضَلَّ مَنْ مَاتَ مِنَّا،وَعَابَ آلِهَتَنَا فَقَالَ أُمَيَّةُ:الرَّجُلُ مَجْنُونٌ غَيْرَ شَكٍّ،قَالَ ضِمَادٌ:فَوَقَعَتْ فِي نَفْسِي كَلِمَتُهُ وَقُلْتُ:إِنِّي رَجُلٌ أُعَالِجُ مِنَ الرِّيحِ،فَقُمْتُ مِنْ ذَلِكَ الْمَجْلِسِ،أَطْلُبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ أُصَادِفْهُ ذَلِكَ الْيَوْمِ،حَتَّى كَانَ الْغَدُ،فَجِئْتُهُ فَوَجَدْتُهُ جَالِسًا خَلْفَ الْمَقَامِ يُصَلِّي،فَجَلَسْتُ حَتَّى فَرَغَ،ثُمَّ جِئْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ:يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ:مَا تَشَاءُ؟ فَقلتُ: إِنِّي أُعَالِجُ مِنَ الرِّيحِ فَإِنْ أَحْبَبْتَ عَالَجْتُكَ،وَلَا تُكَبِّرَنَّ مَا بِكَ،فَقَدْ عَالَجْتُ مَنْ كَانَ بِهِ أَشَدُّ مِمَّا بِكَ فَبَرَأَ،وَسَمِعْتُ قَوْمَكَ يَذْكُرُونَ فِيكَ خِصَالًا سَيِّئَةً،مِنْ تَسْفِيهِ أَحْلَامِهِمْ،وَتَفْرِيقِ جَمَاعَتِهِمْ،وَتَضْلِيلِ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ وَعَيْبِ آلِهَتِهِمْ،فَقُلْتُ:مَا فَعَلَ هَذَا إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ،فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"الْحَمْدُ لِلَّهِ أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ وَأُؤْمِنُ بِهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ،مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ،قَالَ ضِمَادٌ:فَسَمِعْتُ كَلَامًا لَمْ أَسْمَعْ كَلَامًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ،فَاسْتَعَدْتُهُ الْكَلَامَ فَأَعَادَ عَلَيَّ فَقُلْتُ: إِلَام تَدْعُو؟قَالَ:إِلَى أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَتَخْلَعَ الْأَوْثَانَ مِنْ رَقَبَتِكَ،وَتَشْهَدَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ،فَقُلْتُ: فَمَاذَا لِي إِنْ فَعَلْتُ؟ قَالَ: لَكَ الْجَنَّةُ فَقُلْتُ: فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،وَأَخْلَعُ الْأَوْثَانَ مِنْ رَقَبَتِي،وَأَبْرَأُ مِنْهَا،وَأَشْهَدُ أَنَّكَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ،فَأَقَمْتُ مَعَ

---

[١٣٠]) سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ: ٣٥ – ٣٦ .

[١٣١]) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٣/ ٣٤١)

[١٣٢]) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير،للرازي (٩/ ٤٩٦)

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،حَتَّى عَلِمْتُ سُوَرًا كَثِيرَةً مِنَ الْقُرْآنِ،ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى قَوْمِي»[١٣٣]،فقد أثر هذا القول الجميل،المشتمل على جوامع الكلام النافع الهادي،إلى أحسن الآداب ومحاسن الأفعال،في نفس ضماد،وبلغت الدلالة المعنوية مبلغاً عظيماً من قلبه،بإصابة موضع الاقناع من عقله،والتأثير من وجدانه،وتحريك عاطفته نحو الإسلام،وكان لهذه "الأحرف الشرعية المأخوذة إما اقتباساً وإما نقلاً من كلام الله سبحانه ورسوله ﷺ،لها شأن باعتبار نظمها؛ فإنها جمل شرعية جامعة لمسائل التوحيد ومسائل الحق"[١٣٤]،جعلت المدعو ضماد،يُذْعِنُ،ويخضع لجوامع الكلم،وعظيم البيان،وحلاوة المنطق،ورصانة القول من الدلالات الشرعية ٠

د- ومن الدلالات المعنوية،اختيار اللفظ الدلالي الملائم،لأحوال المدعو،فحينما بعث الله موسى ﷺ لدعوة فرعون وقومه،أَيَّدَهُ بآيات كبرى،منها تحويل عصاه إلى حية،فورد تعبير القرآن لفظ "الحية"،حين ابتدأه بالوحي،فقال تعالى:{ ﷺ[١٣٥}،فموسى ﷺ حينما كان في أول الأمر مدعواً من ربه لتبليغ الرسالة" أراد الله تعالى أن يُدَرِّبَهُ في تلقي النبوءة وتكاليفها،وأمره بإلقاء العصا فَأَلْقاها موسى،فقلب الله أوصافها،وأعراضها،وكانت عصا ذات شعبتين،فصار الشعبتان لها فَمَاً،وصارت حَيَّةٌ تَسْعى أي تنتقل"[١٣٦]،وفي موقف ثانٍ سماها الله تعالى جان،فقال تعالى:{ ﷺ[١٣٧}،"والجانُّ الصغيرُ من الحيَّاتِ"[١٣٨]،وإنما أظهر الله هذه الآية لموسى ﷺ بلفظ (الحية)تارة وبلفظ(الجان)تارة،لئلا يفزع منها إذا ألقاها عند فرعون،ويظهر في هذا التمرين،للبرهانين العصا واليد،التربية الدعوية لموسى ﷺ،والتهيئة للتدريب الواقعي،استجماعاً لقلبه،وتهدئةً لروعه،فيكون واثقاً ثابت الجنان في مقام دعوة فرعون وملائه،وإعلاماً له بما سيكون لها من بعد،من عظيم

---

[١٣٣]) صحيح مسلم ،كتاب الجمعة، باب تَخْفِيفِ الصَّلاَةِ (٣ / ١١)٢٠٤٥، المعجم الكبير للطبراني - (٧ / ٣٥٣)٨٠٧٤ ، دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ص: ٢٣٥) واللفظ له ٠

[١٣٤]) شرح الواسطية - يوسف الغفيص (١/ ٤)

[١٣٥]) سورة طه: ٩-٢١ ٠

[١٣٦]) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لابن عطية (٤/ ٤١)

[١٣٧]) سورة النمل : ١٠ ٠

[١٣٨]) معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج (٤/ ٨٨)

الشأن،وجليل المنافع،ويتجلى في هذه المراحل الأولى أن،موسى ﷺ،مَدْعُوٌّ للتمهيد في فترة التجربة والتثبيت،استعداداً للمرحلة الدعوية التالية،وذلك حينما أرسله الله تعالى إلى فرعون قال تعالى: {♦✌︎☞︎⬧︎ 🕮︎❒︎❒︎◆︎⬧︎ ... ✌︎ ... }[139] والمعنى"أنها:الْحَيَّةُ الصَّفْرَاءُ الذَّكَرُ الأَشْعَرُ أَعْظَمُ الْحَيَّاتِ،لَهَا عُرْفٌ كَعُرْفِ الْفَرَسِ "[140]،وهذا المعنى الدلالي،لِتَحَوُّل العصا إلى ثعبان ضخم واضح لا لبس فيه،هو الملائم للموقف مع المدعوين من فرعون وقومه،ولم تتحول العصا إلى حية أوجاناً صغيراً حينما ظهرت،لأن المقصود أن تقوم الحجة البالغة عليهم،"فقلب الله تعالى له العصا في أول مرة جاناً،وهو الحية الصغيرة لئلا يخاف ويجزع،فلما أنس بها وأخذها وأرسلها،أرسله إلى فرعون،فألقاها في الحال الأخرى بين يدي فرعون فصارت ثعباناً مبيناً"[141]،فتنوع المعاني الدلالية للقول،كانت بحسب المقامات،ولأن الملأ المدعوين،إذا كانوا مئات ويأتي الداعية بجان أو حية صغيرة،فلا يكون لها ذلك التأثير المطلوب في المدعوين،لذا تم اختيار لفظ "ثعبان" لأن المقام يحتاج إلى،ضخامة وقوة وتأثير عظيم،في جمهور المدعوين،وبذلك يتبين أن؛"إلقاء العصا لموسىﷺ في القرآن،مَرَّ بثلاث مراحل:الأولى حية،وهي التي واكبتْ اختيار الله لموسى ليكون رسولاً،وما صارت العصا عصاً إلا بعد أنْ قُطِعت من شجرتها،وفقدت الحياة النباتية،وتحولت إلى جماد،فلو عادت إلى أصلها،وصارت شجرةً من جديد،لكان الأمر معقولاً،لكنها تجاوزتْ مرتبة النباتية،وتحولت إلى الحيوانية،وهي المرتبة الأعلى؛لذلك فزع منها موسى وخاف فطمأنه ربه:{ ... }[142]،وكانت هذه المرة بمثابة تدريب لموسى ﷺ؛ليألف العصا على هذه الحالة،وكأن الله تعالى أراد لموسى أنْ يُجري هذه التجربة أمامه،ليكون على ثقة من صِدْق هذه الآية،فإذا ما جاء لقاء فرعون ألقاها دون خوف،وهو واثق من نجاحه في هذه الجولة"[143]،والداعية الحصيف هو الذي يفيد من التدريب الواقعي على المهمة الدعوية، حتى إذا ما باشرها أمام المدعوين،حقق أهدف دعوته بطمأنينة،وثقة،ونجاح.

---

[139]) سورة الشعراء : ١٦-٣٣ .

[140]) تفسير القرآن العظيم ، للإمام الطبراني – (٢ / ٤٥٥)

[141]) الهداية الى بلوغ النهاية ، مكي بن أبي طالب القيرواني (٨/ ٥٣٧٣)،

[142]) سورة طه : ١٠ .

[143]) تفسير الشعراوي، الخواطر،محمد متولي الشعراوي، (١ / ٦٥٣٠)

ومن شواهد السنة على التنوع الدلالي،ما ورد عن معاوية بن حَيْدة القُشَيري قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ حِينَ أَتَيْتُهُ فَقُلْتُ:أَسْأَلُكَ بِوَجْهِ اللهِ بِمَ بَعَثَكَ اللهُ إِلَيْنَا؟قَالَ:"بِالْإِسْلَامِ"قُلْتُ:وَمَا آيَاتُ الْإِسْلَامِ؟قَالَ:أَنْ تَقُولَ:" أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَتَخَلَّيْتُ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ. كُلُّ مُسْلِمٍ عَلَى مُسْلِمٍ مُحَرَّمٌ، أَخَوَانِ نَصِيرَانِ لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْ مُشْرِكٍ أَشْرَكَ بَعْدَمَا أَسْلَمَ عَمَلًا،وَتُفَارِقَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ،مَا لِي أُمْسِكُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ؟ أَلَا إِنَّ رَبِّي دَاعِيَّ وَإِنَّهُ سَائِلِي:"هَلْ بَلَّغْتُ عِبَادَهُ؟ "وَإِنِّي قَائِلٌ:"رَبِّ إِنِّي قَدْ بَلَّغْتُهُمْ فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ،ثُمَّ إِنَّكُمْ مَدْعُوُّونَ مُفَدَّمَةً أَفْوَاهُكُمْ بِالْفِدَامِ، [١٤٤]، ثُمَّ إِنَّ أَوَّلَ مَا يُبِينُ عَنْ أَحَدِكُمْ لَفَخِذُهُ وَكَفُّهُ، قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللهِ:هَذَا دِينُنَا؟قَالَ:"هَذَا دِينُكُمْ وَأَيْنَمَا تُحْسِنْ يَكْفِكَ»[١٤٥]،تَضَمَّنَ جَوَابُ النبي ﷺ الحكيم،بيان المعاني الدلالية للإسلام،بجوامع الكلم النافعة،والتي تخاطب المدعو معاوية،في تدرج قولي بديع،من الناحية الإيمانية بإعلان التوحيد الخالص،والتبرؤ من الشرك وأهله،والعبادية بالتزام الصلاة والزكاة ،والاجتماعية بأخوة الإيمان،والتناصر والتعاضد عليها،ومن الناحية الشخصية"لأن المسلم مُعْتَصِمٌ بالإسلام،ممتنع بحرمته ممن أراد دَمَه أو ماله"[١٤٦]،و ومن الناحية البيئية بقطع الموالاة مع المشركين،"وَالتبرؤ من الشّرك وَعقد الْقلب على شرائع الْإِسْلَام"[١٤٧]،ثم دعاه إلى الإحسان،"فِي الْمُحَافظَة على هَذِه الْحُدُود وَإِقَامَة هَذِه الْفَرَائِض وعَلى أَن الْأَمر كَذَلِك فَفِي أَي مقامة من مقامات الْخَيْر أَوْقَعْتَ إحساناً وَبراً على سَبِيل التَّبَرُّع أجدى عَلَيْك ونفعك،عَن الله فَلَا تعجز أَن تفعل"[١٤٨]، ،ومن شواهد التنوع الدلالي،تفاوت أجوبة النبيﷺ في تفسير عناصر الإيمان،بحسب حال كل مدعو،وشخصه،فَجَعَلَ ﷺ الْإِيمَانَ الركن الأساسي والأصل،والشريعة الظاهرة من الأعمال،والأخلاق تبع له،وثمرة من ثمراته،عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،قَالَ:لَمَّا:قَدِمَ وَفْدُ عَبْدِ الْقَيْسِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ:«مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ غَيْرَ خَزَايَا،وَلاَ النَّدَامَى فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ مُضَرَ وَإِنَّا لاَ نَصِلُ إِلَيْكَ إِلاَّ فِي أَشْهُرِ الْحُرُمِ حَدِّثْنَا بِجُمَلٍ مِنَ الأَمْرِ إِنْ عَمِلْنَا بِهِ دَخَلْنَا الْجَنَّةَ وَنَدْعُو بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا قَالَ آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ الإِيمَانِ بِاللَّهِ هَلْ تَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللَّهِ شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ،وَإِقَامُ

---

[١٤٤]) مفدَّمة أفواهُكم بالفدام : يعني أنهم منعوا من الكلام، انظر: غريب الحديث لابن سلام – (١ / ١٠٩)

[١٤٥]) السنن الكبرى للنسائي،كتاب الزكاة، بَابُ مَنْ سَأَلَ بِوَجْهِ اللهِ (٣/ ٦٦)٢٣٦٠مسند أحمد (٣٣/ ٢٤٢) مسند الإمام أحمد (٣٣/ ٢٤٢)٢٠٠٤٣، المستدرك على الصحيحين للحاكم (٤ / ٦٤٣)٨٧٧٤ ،قال الهيثمي:رواه أحمد في حديث طويل ورجاله ثقات، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠ / ٦٣٦)

[١٤٦]) غريب الحديث للخطابي (١/ ٣٢٣)

[١٤٧]) الفائق في غريب الحديث، للزمخشري (١/ ٣٩٠)

[١٤٨]) الفائق في غريب الحديث ، للزمخشري (١/ ٣٩٠)

الصَّلاَةِ،وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَصَوْمُ رَمَضَانَ وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغَانِمِ الْخُمُسَ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ مَا انْتُبِذَ فِي الدُّبَّاءِ،وَالنَّقِيرِ وَالْحَنْتَمِ ، وَالْمُزَفَّتِ»[١٤٩]،فنجد أن المعاني الدلالية لكلمة الإسلام والإيمان التي فسرها الرسول ﷺ،اشتملت على جميع العقائد القلبية،والأعمال البدنية الظاهرة،وكل ما يقرب إلى الله من قول وعمل واعتقاد،وهذا التنوع في اختيار اللفظ الدلالي الملائم،لأحوال المدعو،لِمُخَاطَبة جميع مَلَكَاتِه،الفكرية،والوجدانية،والحسية؛هو الذي يقتضيه حسنُ الأدب ويستدعيه النزولُ على المروءة،وتنوع هذه المعاني الدلالية؛كان لها شأواً بعيداً؛وأثراً حميداً،في تربية النفوس وإصلاحها،وتقويم الأخلاق وتهذيبها؛وفي توجيه السؤال إلى المدعوين من وفد قيس فيه تنبيه النفوس وتهيئتها للإصغاء والتشوق إلى هذه المعاني الدلالية،المتضمنة للقول الجميل،النافع الممتع،بأسلوب التعليم والمحاورة، فيقع،منها التأثير و الإيمان الكامل في قرار مكين ٠

هـ- ومن شواهد الأثر الدلالي،حذف جزء الكلمة،لمقاصد وأغراض معنوية،ينتفع بها المدعو حينما يدرك الحكمة من الترخيم في قراءة:قوله تعالى{وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ}[١٥٠]،وهي:«يا مال» على الترخيم مكسوراً ومضموماً،قال ابن جني:"قراءة علي بن أبي طالب طالب وابن مسعود رضي الله عنهما،ويحيى والأعمش رحمهما الله:"يَا مَالِ،هذا المذهب المألوف في الترخيم،إلا أن فيه في هذا الموضع سراً جديدا،وذلك أنهم -لعظم ما هم عليه-ضَعُفَتْ قُوَاهُم،وذَلَّتْ أنفسهم،وصَغُرَ كلامهم؛فكان هذا مواضع الاختصار ضرورة عليه"[١٥١]،وكان"إشعاراً بأنهم لضعفهم لا يستطيعون تأدية اللفظ بالتمام ولذلك اختصروا،وإنهم لشدة ما هم فيه عجزوا عن تمام الكلام"[١٥٢]، ،وهذه علة بلاغية؛تبين أن العذاب أوهنهم،"وتشير إلى ما وراء هذا الحذف من ضيق الصدر،وغلبة اليأس ومعاناة الهول معناة شغلتهم عن إتمام الكلمة"[١٥٣]،فينتفع بهذا المدعو في الدلالات المعنوية،وتكون له موعظة وذكرى،للاستعداد لليوم الآخر،ويُعَد الترخيم أيضاً؛من أساليب القول المؤثرة إيجاباً،لما يتضمنه من المعاني الدلالية التي ينتفع بها المدعو،بما يجلب له المحبة

---

[١٤٩]) صحيح البخاري ،كتاب المغازي، باب وفد عبد القيس (٤ / ١٥٨٨)٤١١٠ ، صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الأَمْرِ بِالإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ (١ / ٣٥) ١٢٥ ،

[١٥٠]) سورة الزخرف : ٧٧ ٠

[١٥١]) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها،لابن جني (٢/ ٢٥٧)

[١٥٢]) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي(٥/ ٩٦)، قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: وَفِي حَرْفِ ابْنِ مَسْعُودٍ ، (وَنَادَوْا يَا مَالُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ) صحيح البخاري كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين (٣ / ١١٨٠)٣٠٥٨ ،تفسير عبد الرزاق (٣/ ١٧٧)وانظر: جزء فيه قراءات النبي ﷺ،لحفص بن عمر الدوري. (١ / ١٣٠)

[١٥٣]) خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، محمد أبو موسى (ص: ١٥٥)

والأنس والنشاط،كما ثبت أن النبي ﷺكان يلاطف أم المؤمنين عائشة<،من باب حسن العشرة،ويقول:«يَا عَائِشَ،هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلاَمَ»،فَقُلْتُ:وَعَلَيْهِ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ،تَرَى مَا لاَ أَرَى «تُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ»[١٥٤]،وفيه درس تربوي دعوي للدعاة،في مطايبة المدعوين من أهله خاصة،ومع الناس جميعاً،وتحبيبهم إلى الطاعات،وتقوية العلاقات الأخوية،وأواصر الألفة،فاستخدام القول المرخم المؤثر،يدل على معاني الإكرام والملاطفة،وحسن التبعُّل من رسول الله ﷺ لأهله،وهكذا يحيط الرسول ﷺ بأثر الأقوال،ويسعى إلى ربط ما يتأتَّى من دلالاتها بالمجال الحياتي للمدعوين،فتكون آثارها على الدعوة إلى الله نَافعةً حميدةً؛ مثلما هو الغيث المبارك يَعُمُّ نَفعه البلاد والعباد؛ كما قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:«مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا... »الحديث[١٥٥]،يقول شيخ الإسلام ابن تيمية~"فضرب مثل الهدى والعلم الذي ينزل على القلوب بالماء الذي ينزل على الأرض،وكما أن لله ملائكة موكلة بالسحاب والمطر،فله ملائكة موكلة بالهدى والعلم،هذا رزق القلوب وقوتها،وهذا رزق الأجساد وقوتها"[١٥٦]،والداعية الحكيم هو الذي يتخير الدلالات المعنوية،ذات الأسلوب القولي الحسن،والمتماسك الدلالة فى إطار هذه المعانى القرآنية والنبوية،والتي تحقق الهدف الدعوي المقصود،وتتناسب مع أحوال المدعو،وظروفه النفسية والفكرية والاجتماعية،ويكون مفتاحاً لقلبه، وسبباً لهدايته .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين،الذي بنعمته تتم الصالحات،والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحابته النجباء،والتابعين لهم بإحسان ، وبعد ...

أولاً :أهم النتائج:

١ – أبرزت الدراسة ترابطاً وثيقاً،ما بين (الأثر،والقول،والمدعو) .

---

[١٥٤]) صحيح البخاري ،كتاب فضائل الصحابة باب فضل عائشة رضي الله عنها (٣ / ١٣٧٤)٣٥٥٧، صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضل عائشة رضي الله عنها (٧ / ١٣٩)٦٤٥٧

[١٥٥]) صحيح البخاري ص٤١، كتاب العلم،باب(٢٠)رقم (٧٩)، صحيح مسلم ص٩٣٨، كتاب الفضائل، باب (٥) رقم (٢٢٨٢)،

[١٥٦]) مجموع الفتاوى، للإمام ابن تيمية (٤ / ٤١)[١٥٦]،

٢ –اتصاف القول،بالدقة والوضوح والحيوية،في تبليغ دين الإسلام،وتحقيق مقاصد الدعوة،وقوة التأثير والفاعلية في المدعوين،بحسب الفروق الفردية ٠

٣- تعدد أشكال القول وأساليب البيان،يعطي الداعية مجالاً رحباً في اختيار الطريقة المثلى والأنسب في دعوته،والمؤثرة في المدعوين،بما يعود عليهم بحسن الأثر في الدين والدنيا ٠

٤- أَصَّلَت الدراسة مكانة وسيلة القول،ومنزلته الرفيعة،والتي رُسِمَتْ سياسته،بوحي من الله تعالى،وقام الرسولﷺ بتنفيذه،على نسق الكمال،وفق الإمكانات والموارد المتوفرة في واقعه ٠

٥- القول المصطبغ بالصبغة الشرعية الإلاهية،تضمن كمال الصدق والحق والعدل،فكان أعظم أثراً في نفوس المدعوين وأقوى نفعاً،ووصولًا للقلوب والأسماع،لكونه يتميز بخصائص شرعية فريدة،ومضامين خيرة،تمثل دين الإسلام٠

٦- تبين أن القول يعد وسيلة فطرية،مغروسة في فطرة الإنسان وجبلته،وحسن استثمار الداعية له،لما يتصف به من كمال التأثير،وقوة الفاعلية،من جميع الجوانب الروحية،والعقلية،والجسدية للمدعو ٠

٧- للقول مزدوج وخطير،في حياة المدعو؛لما يترتب عليه من صلاح أو فساد،فهو سلاح ذو حدين،إذا استعمل في الخير،أينع ثماراً طيبةً،وإذا استعمل في الشر،أنتج الآثام والمساوئ،والداعية الحكيم،هو الموجه لهذه الأداة ؛ليعود نفعه وخيره للمدعوين،ويُؤثِّر في قلوبهم،ويثمر ثمراً يانعاً،ويكون سبباً لقبول أوامر الدين،وتطبيق أحكامه الشرعية،وتحذيرهم من القول السيء،حيث يتنافى معه حصول المقصود في مقام الدعوة،

٨- أثبتت الدراسة من خلال الشرع؛أن للصوت الحسن تأثير عميق في النفوس،لذا ورد الاهتمام به،واتخاذه وسيلة من وسائل التأثير الخير النافع،وأن انتفاع المدعو وتأثره بالقوة الصوتية للقول،في حياته العلمية والعملية والمهنية،مستفيضةً في كل آية من آي القرآن،لتحقيق الغرض الفني والتشريعي لدعوة الإسلام،كما تبين من خلال عرض شواهد للأثر الصوتي في السنة المطهرة،كيف استثمر رسول الله ﷺ في ميدان دعوته،جميع معطيات اللغة،بتوظيف كافة مراتبها ومستوياتها،معتمداً على فنية الأداء الصوتي،ليكون أبلغ في التأثير على المدعوين،وحسن استقبالهم للإيقاعات الجمالية المتنوعة والمؤتلفة،وتفاعلهم مع معطياتها المعنوية المتسقة٠

٩- أن تنوع الأثر الدلالي للقول،بحسب تنوع أساليب البيان التعبيري المخاطب به المدعو،يعكس تفاوتاً في درجات الدلاله،بحسب المعاني الدعوية المراد تثبيتها،وثبت من خلال عرض نماذج من أفانين القول المؤثرة دلالياً،والمتسقة مع المعنى الدلالى المراد فى الأصول القرآنية والنبوية،أهميتها وفاعليتها في التأثير على أصناف المدعوين بحسب أحوالهم،وكانت مفتاحاً لقلوبهم،وسبباً لهدايتهم٠

ثالثاً :أهم التوصيات:

يوصي الباحث بضرورة القيام بدراسات متعمقة وتحليل دقيق،لأساليب القول،وفنونه،وخصائصه؛ليجني المدعوين،آثاره وثمرة معانية،حيث قد تبين من خلال البحث،موسوعية مذاهب القول،بما يحقق تأثيره العذب،الذي يتملك قلوب المدعوين،ونفوسهم،في ضوء تنوع طبائعهم،وتفاوت قدراتهم،الفردية،والذاتية٠

مراجع البحث:

القرآن الكريم :

١. **الإتقان في علوم القرآن،عبد الرحمن بن أبي بكر، السيوطي،(ت ٩١١هـ)، ت: محمد أبو الفضل،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م ٠**
٢. **أحكام القرآن،القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، (ت ٥٤٣هـ)، ت: محمد عبد القادر،دار الكتب العلمية، بيروت،ط:٣، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م ٠**
٣. **أدب الدنيا والدين،علي بن محمد الماوردي، (ت ٤٥٠هـ)، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م ٠**
٤. **الأسس العلمية لمنهج الدعوة الاسلامية ،د.عبدالرحيم المغذوي،دار الحضارة،الرياض،١٤٢٩هـ ٠**
٥. **أسلوب الدعوة القرآنية،عبدالغني بركة،مكتبة وهبة ،القاهرة،ط ١ ،١٤٠٣هـ ٠**
٦. **أصول الدعوة،عبد الكريم زيدان،مؤسسة الرسالة،دمشق،ط:٩، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م**
٧. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،محمد الأمين بن محمد المختار، (ت ١٣٩٣هـ) دار الفكر،بيروت ، ١٤١٥ هـ ٠**
٨. **إعجاز القرآن،أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد،(ت ٤٠٣هـ)،ت: السيد أحمد صقر،دار المعارف،القاهرة، ط: ٨، ١٩٩٧م٠**
٩. **الإعلام بما في دين النصارى من الفساد، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، ت:أحمد حجازي ،دار التراث العربي، القاهرة ، ١٣٩٨ ٠**
١٠. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل،ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، (٦٨٥ هـ)،دار الفكر - بيروت ،د - ت**
١١. **إيثار الحق على الخلق ،محمد بن إبراهيم الحسني، (المتوفى: ٨٤٠هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت،ط ٢، ١٩٨٧ ٠**
١٢. **البداية والنهاية،إسماعيل بن عمر بن كثير،(ت ٧٧٤هـ) ،ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة ،ط:١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م ٠**

١٣. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أحمد بن محمد بن المهدي،ت: أحمد عبد الله القرشي،الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة،ط: ١٤١٩ هـ
١٤. البرهان في علوم القرآن،بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، (ت ٧٩٤هـ) ،ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية،القاهرة ،ط :١ ، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م ٠
١٥. تاريخ ابن معين،يحيى بن معين أبو زكريا، (ت ٢٣٣هـ)، ت: د. أحمد محمد نور سيف،دار المأمون للتراث – دمشق ، ١٤٠٠
١٦. تأملات دعوية في السنة النبوية،عبدالله بن وكيل الشيخ،دار أشبيليا، الرياض، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م، ط/ ١ ٠
١٧. التحرير والتنوير ،محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، (ت ١٣٩٣هـ) ،مؤسسة التاريخ العربي، بيروت،لبنان،ط: ١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م
١٨. ترتيب علل الترمذي الكبير،أبو طالب القاضي، صبحي السامرائي ،أبو المعاطي النوري، عالم الكتب،مكتبة النهضة العربية،بيروت،ط :١،د–ت ٠
١٩. التعريفات،علي بن محمد الجرجاني، (ت٨١٦هـ) ،ت : إبراهيم الأبياري،دار الكتاب العربي – بيروت،ط:١ ، ١٤٠٥
٢٠. تفسير ابن عرفة المالكى، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة، ت: د. حسن المناعي،مركز البحوث بالكلية الزيتونية ، تونس ، ط :١، ١٩٨٦ م ٠
٢١. تفسير البحر المحيط ،محمد بن يوسف أبو حيان،(ت ٧٤٥هـ)،ت :صدقي محمد،دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ هـ ٠
٢٢. تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي ، (ت ١٤١٨هـ) ،مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧ م ٠
٢٣. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة ،محمد بن صالح العثيمين،(ت ١٤٢١هـ) ،دار ابن الجوزي، الدمام،ط ١، ١٤٢٣ هـ ٠
٢٤. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)،محمد رشيد بن علي رضا ،(ت ١٣٥٤هـ)،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م ٠
٢٥. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير،(ت ٧٧٤هـ)،ت: سامي بن محمد سلامة،دار طيبة ط٢، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م
٢٦. تفسير القرآن العظيم، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير الطبراني ،دار الكتاب الثقافي ،الأردن،ط ١ د – ت
٢٧. التفسير القيم لابن القيم،جمع :محمد أويس الندوي،ت: محمد حامد الفقي،دار الكتب العلمية،بيروت،د – ت
٢٨. تأويلات أهل السنة،محمد بن محمودأبو منصور الماتريدي ، (ت ٣٣٣هـ) ،ت:مجدي باسلوم،دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م ٠
٢٩. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد،سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب،(ت ١٢٣٣هـ) ،مكتبة الرياض الحديثة،الرياض
٣٠. التيسير بشرح الجامع الصغير،زين الدين عبد الرؤوف المناوي، (ت ١٠٣١هـ)مكتبة الإمام الشافعي،الرياض،ط٣، ١٤٠٨هـ ٠
٣١. الثقات،محمد بن حبان البستي، (ت ٣٥٤هـ)ت السيد شرف الدين أحمد ،دار الفكر،ط ١، ١٣٩٥، ١٩٧٥٠
٣٢. جامع البيان، محمد بن جرير الطبري،(ت ٣١٠هـ)، تحقيق صدقي العطار، دار الفكر،بيروت– لبنان، ١٤١٥هـ– ١٩٩٥م.

٣٣. جامع الرسائل،أحمد بن عبد الحليم بن محمد ابن تيمية(ت ٧٢٨هـ)ت:محمد رشاد سالم،دار العطاء، الرياض،ط:١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م
٣٤. الجامع الصحيح المختصر،محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، (ت ٢٥٦هـ) ، ت: د. مصطفى ديب البغا ،دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت،ط الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧، ٠
٣٥. الجامع الصحيح،أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ،دار الجيل ،بيروت،د – ت ٠
٣٦. جامع العلوم والحكم،عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي،دار المعرفة ،بيروت،ط ١، ١٤٠٨هـ ٠
٣٧. الجامع لأحكام القرآن،محمد بن أحمد القرطبي، (ت ٦٧١هـ)ت:أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ،القاهرة،ط:٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م ٠
٣٨. جمهرة مقالات الاستاذ محمود محمد شاكر ،جمع:عادل سليمان جمال،مكتبة الخانجي، ١٤٢٤ هـ.
٣٩. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح،أحمد بن عبد الحليم بن تيمية،(ت ٧٢٨هـ)،دار العاصمة، الرياض،ط١، ١٤١٤
٤٠. حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، محمود حمدى زقزوق،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،القاهرة،١٤٢٣ هـ ٠
٤١. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، (ت ٤٣٠هـ)،دار الكتاب العربي – بيروت،ط:٤، ١٤٠٥ ٠
٤٢. درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول،تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن تيمية، ت: عبد اللطيف عبد الرحمن ،دار الكتب العلمية،بيروت – ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.
٤٣. دلائل الإعجاز في علم المعاني،عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني،ت: محمود محمد شاكر،مطبعة المدني بالقاهرة،ط:٣، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م٠
٤٤. دلائل النبوة،أحمد بن عبد الله الأصبهاني،(ت٤٣٠هـ)، ت: محمد رواس قلعه جي، عبد البر،دار النفائس، بيروت،ط: ٢، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ ٠
٤٥. دلائل النبوة،أحمد بن الحسين بن علي البيهقي،(ت ٤٥٨هـ)،ت :عبد المعطى قلعجى،دار الكتب العلمية .
٤٦. ديوان لبيد بن ربيعة العامري،(ت ٤١هـ)،ت:حمدو طمّاس،دار المعرفة،ط:١، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م ٠
٤٧. روائع من أقوا ل الرسولﷺ،عبدالرحمن الميداني،دار القلم ،دمشق،ط ٧، ١٤١٩ ٠
٤٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم،محمود بن عبد الله الآلوسي، ت:على عبد البارى،دار الكتب العلمية . بيروت، ١٤١٥ هـ، ٠
٤٩. رياض الصالحين،محيي الدين يحيى بن شرف النووي، (ت ٦٧٦هـ) ،المكتب الإسلامي، بيروت،ت: محمد ناصر الدين الألباني،ط١ ، ١٤١٢هـ– ١٩٩٢م) .
٥٠. زهرة التفاسير،محمد بن أحمد بن مصطفى المعروف بأبي زهرة،(ت ١٣٩٤هـ)،دار الفكر العربي،د–ت ٠
٥١. الزواجر عن اقتراف الكبائر،أحمد بن محمد الهيتمي، (ت ٩٧٤هـ) ،دار الفكر،ط:١، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م ٠
٥٢. سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، (ت ١٤٢٠هـ) ،مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥هـ– ١٩٩٥م.
٥٣. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، (ت ٢٧٣هـ)،ت: خليل مأمون شيحا،دار المعرفة، بيروت،ط٢، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.
٥٤. سنن أبي داود،أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني،(ت ٢٧٥هـ)دار الكتاب العربي . بيروت –د–ت.

٥٥. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي،(ت ٢٧٩هـ)ت: أحمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، د.ت.
٥٦. السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي،مؤلف الجوهر النقي: علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني،مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند،حيدر آباد،ط :١، ١٣٤٤ هـ ٠
٥٧. سيرة ابن إسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي)،محمد بن إسحاق بن يسار ،ت:محمد حميد الله،معهد الدراسات والأبحاث، المغرب ١٣٩٦ – ١٩٧٦
٥٨. السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة،ط:١، ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٤م ٠
٥٩. السيرة النبوية،عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري،ت:طه عبد الرءوف، دار الجيل،بيروت،ط :١، ١٤١١ ٠
٦٠. إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل،صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ،ت:سليمان القاطوني،دار المودة،المنصورة، ط ١ ، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م ٠
٦١. شرح العقيدة الطحاوية،ابن أبي العز الحنفي،المكتب الإسلامي،بيروت،ط ٤ ،د–ت٠
٦٢. شرح رياض الصالحين،محمد بن صالح بن محمد العثيمين ،دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦ هـ٠
٦٣. شرح صحيح البخاري ، لشمس الدين السفيري،ت : أحمد فتحي،دار الكتب العلمية ،بيروت،ط ١ ،١٤٢٥ ٠
٦٤. شرح نهج البلاغة،عبد الحميد بن هبة الله ،ت: محمد أبو الفضل ابراهيم،دار احياء الكتب،العربيةالقاهرة،د– ت
٦٥. الشفا بتعريف حقوق المصطفى،عياض بن موسى بن عياض ،دار الفيحاء،عمان،ط:٢، ١٤٠٧ هـ ٠
٦٦. الصاحبي في فقه اللغة العربية ،أحمد بن فارس،الناشر:محمد علي بيضون،ط١، ١٤١٨هـ–١٩٩٧م
٦٧. صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني،مكتبة المعارف، الرياض،ط١، ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م٠
٦٨. صحيح وضعيف الجامع الصغير، محمد ناصر الدين الألباني،المكتب الإسلامي،دمشق ،بيروت ، ١٤٠٨ ٠
٦٩. أمراض القلب وشفاؤها، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني،المطبعة السلفية ، القاهرة،ط٢، ١٣٩٩هـ٠
٧٠. الصمت وآداب اللسان،عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا ،ت: أبو إسحاق الحويني،دار الكتاب العربي،بيروت،ط١ ، ١٤١٠
٧١. الصناعتين،الحسن بن عبد الله العسكري،ت: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم،المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩ هـ
٧٢. العزف على أنوار الذكر ، محمود توفيق محمد سعد،طبع في كلية اللغة العربية جامعة الأزهر،ط١، ١٤٢٤هـ
٧٣. غريب الحديث، القاسم بن سلام الهروي،ت:محمد عبد المعيد خان ،دار الكتاب العربي ، بيروت،ط١ ، ١٣٩٦
٧٤. غريب الحديث، حمد بن محمد بن الخطابي،ت:عبد الكريم العزباوي،جامعة أم القرى،مكة المكرمة، ١٤٠٢
٧٥. الفائق في غريب الحديث، محمود بن عمر الزمخشري،ت:علي محمد البجاوي،محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان ،ط ٢ ،د– ت
٧٦. الطبقات الكبرى،محمد بن سعد البصري،(٢٣٠ هـ)،ت:إحسان عباس،دار صادر،بيروت،ط١، ١٩٦٨ م
٧٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري،أحمد بن علي بن حجر العسقلاني،دار المعرفة،بيروت، ١٣٧٩ ٠
٧٨. فضائل الصحابة،أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني (١٦٤ – ٢٤١)،ت:وصي الله محمد عباس،مؤسسة الرسالة،بيروت،ط:١، ١٤٠٣ – ١٩٨٣ ٠
٧٩. في ظلال القرآن،سيد قطب إبراهيم ،دار الشروق ـ القاهرة، ط:١٧، ١٤١٢ هـ ٠
٨٠. القرآن وعلم النفس ،محمد عثمان نجاتي،دار الشروق،القاهرة،ط ٧، ١٤٢١ هـ ٠
٨١. قطر الندى وبل الصدى،عبد الله بن يوسف ابن هشام ،دار العصيمي للنشر والتوزيع،ط:١ ٠

٨٢. كتاب العين،الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت:مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ،دار الهلال،بيروت ،١٩٨٦
٨٣. تفسير القرآن،محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري،ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي،سعد بن محمد السعد،دار المآثر – المدينة النبوية،ط:١، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢ م٠
٨٤. كتب ورسائل عبد المحسن بن حمد البدر،عبد المحسن بن حمد البدر،دار التوحيد ،الرياض، ١٤٢٨هـ ٠
٨٥. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،محمود بن عمر الزمخشرى ،دار الكتاب العربي. بيروت، ١٤٠٧ هـ ٠
٨٦. كشف الأستار عن زوائد البزار،نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي،ت: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط:١، ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م ٠
٨٧. كشف المشكل من حديث الصحيحين، عبد الرحمن ابن الجوزي،دار الوطن،الرياض، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧
٨٨. مباحث في علوم القرآن،مناع القطان،مكتبة المعارف ،الرياض،ط٣، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م ٠
٨٩. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،علي بن أبي بكر الهيثمي،بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر،طبعة دار الفكر، بيروت، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ ٠
٩٠. مجموع الفتاوى،أحمد بن عبد الحليم بن تيمية،ت:أنور الباز – عامر الجزار،دار الوفاء،ط : ٣،١٤٢٦هـ
٩١. مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز،عبد العزيز بن عبد الله بن باز،إشراف:محمد بن سعد الشويعر،دار القاسم الرياض، ١٤٢٠
٩٢. مجموع فتاوى ورسائل الشيخ العثيمن ،محمد بن صالح العثيمين،ت:فهد بن ناصر، دار الوطن، ١٤١٣ هـ ٠
٩٣. المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل بن سيده،(ت ٤٥٨هـ)،ت:عبد الحميد هنداوي،دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م٠
٩٤. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،عبد الحق بن غالب بن عطية ،ت:عبد السلام محمد،دار الكتب العلمية بيروت،ط:١، ١٤٢٢ هـ ٠
٩٥. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات،عثمان بن جني،وزارة الأوقاف–المجلس الأعلى للشئون الإسلامية،القاهرة، ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م
٩٦. مختصر تفسير البغوي،عبد الله بن أحمد الزيد،دار السلام،الرياض،ط١، ١٤١٦هـ٠
٩٧. المدخل إلى علم الدعوة،محمد أبو الفتح البيانوني،مؤسسة الرسالة، بيروت،ط١، ١٤١٢هـ–١٩٩١ .
٩٨. المستدرك على الصحيحين، لأبي عبدالله الحاكم (٤٠٥ هـ)، الطبعة ١، ١٤٢٧ هـ.
٩٩. مسند أبي داود الطيالسي،سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي،(ت ٢٠٤هـ)،ت: محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر مصر،ط:١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م
١٠٠. مسند أبي يعلى،أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى،(ت٣٠٧هـ)،ت : حسين سليم أسد،دار المأمون للتراث ،دمشق،ط ١،١٤٠٤ – ١٩٨٤
١٠١. مسند الإمام أحمد بن حنبل،ت:عبدالله بن عبدالمحسن التركي،شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان،ط١، ١٤١٩هـ–١٩٩٩م.
١٠٢. البحر الزخار ،أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار،(ت ٢٩٢هـ)،ت: محفوظ الرحمن زين الله ،وزملاؤه، مكتبة العلوم والحكم،المدينة المنورة،ط :١،د–ت٠

١٠٣. المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم،أحمد بن عبد الله الأصبهاني،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،ط١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م٠
١٠٤. المصنف : أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، (ت ٢٣٥هـ)،ت:محمد عوامة،،دار القبلة،جدة،ط١ ، ١٤٢٧هـ٠
١٠٥. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، الزجاج،ت: عبد الجليل عبده،عالم الكتب،بيروت،ط:١، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م٠
١٠٦. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية،أحمد بن علي بن حجر،(ت ٨٥٢هـ)،ت:سعد بن ناصر الشثري،دار العاصمة ،الرياض،ط١، ١٤١٩هـ ٠
١٠٧. المعجم الأوسط،أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني،(ت ٣٦٠هـ)ت:طارق عوض الله ،عبد المحسن إبراهيم الحسيني ،دار الحرمين – القاهرة ، ١٤١٥ ٠
١٠٨. المعجم الكبير ،سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني(ت ٣٦٠هـ)،ت:حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة،ط:٢، د – ت ٠
١٠٩. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا،ت : عبد السلام محمد هارون،دار الفكر،١٣٩٩هـ ،١٩٧٩م.
١١٠. معرفة الصحابة لابن منده،محمد بن إسحاق بن مَنْدَه العبدي، (ت ٣٩٥هـ) ،ت :عامر حسن صبري،جامعة الإمارات العربية المتحدة،ط:١، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م ٠
١١١. المغني عن حمل الأسفار،أبو الفضل العراقي،(ت ٨٠٦هـ) ،ت:أشرف عبد المقصود،مكتبة طبرية، الرياض ١٤١٥هـ٠
١١٢. مفاتيح الغيب ،محمد بن عمر التميمي الرازي، (ت ٦٠٦هـ)،دار الكتب العلمية،بيروت،ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م٠
١١٣. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة،محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية،(ت ٧٥١هـ)،دار الكتب العلمية – بيروت،د–ت، ٠
١١٤. المفردات في غريب القرآن،الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني(ت ٥٠٢هـ)ت:صفوان عدنان،دار العلم،بيروت، ١٤١٢ هـ٠
١١٥. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب المسلم، أحمد بن عمر القرطبي(ت ٦٥٦هـ)،ت: محيي الدين مستو وآخرين،دار ابن كثير، ط ١،بيروت، ١٤١٧هـ–١٩٦م٠
١١٦. مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع، ناصر العقل، دار الوطن،ط١، ١٤١٤هـ.
١١٧. المنتخب من مسند عبد بن حميد،عبد الحميد بن حميد بن نصر(ت ٢٤٩هـ)،ت:صبحي البدري،محمود محمد خليل،مكتبة السنة،القاهرة،ط:١، ١٤٠٨ – ١٩٨٨ ٠
١١٨. منهاج السنة النبوية،أحمد بن عبد الحليم بن تيمية(ت ٧٢٨هـ)،ت:محمد رشاد سالم،مؤسسة قرطبة ، ط:١
١١٩. الموافقات،إبراهيم بن موسى الشاطبي(ت ٧٩٠هـ)ت:مشهور بن حسن،دار ابن عفان،ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م ٠
١٢٠. الموطأ،مالك بن أنس بن مالك الأصبحي(ت١٧٩هـ) ت:محمد مصطفى الأعظمي،مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان،أبو ظبي،الإمارات،ط:١، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م
١٢١. النبأ العظيم،محمد بن عبد الله دراز،ت:أحمد مصطفى،دار القلم،دمشق، ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م ٠

١٢٢. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،برهان الدين أبي الحسن البقاعي،(ت ٨٨٥هـ)ت:عبد الرزاق غالب ،دار الكتب العلمية،بيروت، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥ م ٠

١٢٣. النكت في إعجاز القرآن،علي بن عيسى الرماني،ت: محمد خلف الله و زغلول سلام ،دار المعارف،القاهرة، ١٣٨٧ م

١٢٤. النهاية في الفتن والملاحم،إسماعيل بن كثير(ت ٧٧٤هـ)،ت:خليل شيحا،محمد خير حلبي،دار المعرفة، بيروت– لبنان،ط٢، ١٤٢٠هـ–٢٠٠٠م ٠ .

١٢٥. الهداية إلى بلوغ النهاية،مكي بن أبي طالب القيرواني ،ت:مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة،ط:١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م ٠

المجلات العلمية

١–"نظرية النظم وقراءة الشعر عند عبد القاهر الجرجاني"، محمود توفيق محمد سعد ، مجلة كلية اللغة العربية جامعة الأزهر الشريف – المنوفية – شبين الكوم العدد الحادي والعشرين، ١٤٢٣هـ٠

٢–"وسائل التربية الإسلامية"، عباس محجوب، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ،العدد (٤٩)٠

٣–"نشأة الإعجاز التأثيري للقرآن وتطوره"محمد عطا يوسف ،مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية /العدد ٣٦ ،مجلد ١٣ / ١٩٩٨

٤– "البلاغة وعلم النفس"،أمين الخولي،مجلة كلية الآداب،المجلد الرابع،ج ٢ ديسمبر ١٩٣٦

المواقع الإسلامية

١– شرح الواسطية،يوسف محمد الغفيص،مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية **http://www.islamweb.net**

فهرس الموضوعات

المقدمة	٢ – ٥
المبحث الأول :التعريف بمصطلحات البحث :	٦
المطلب الأول– – تعريف الأثر في اللغة والشرع٠	٦
المطلب الثاني– تعريف القول في اللغة والشرع ٠	٧
المطلب الثالث– تعريف المدعو في اللغة والشرع ٠	٧
المطلب الرابع– : أنواع القول وأهميته الدعوية :	٧–١٠
المبحث الثاني:– أثر القول في المدعو :	١٠–٤٢
المطلب الأول– الأثر العقيدي،والشرعي	١١
المطلب الثاني –الأثر الفطري	١٨
المطلب الثالث – الأثر الصوتي	٢٤

المطلب الرابع– الأثر الدلالي العلمي	٣٤
الخاتمة	٤٢
فهرس المراجع	٤٤